6

المرحلة الحديثة وإحياء الهوية العراقية

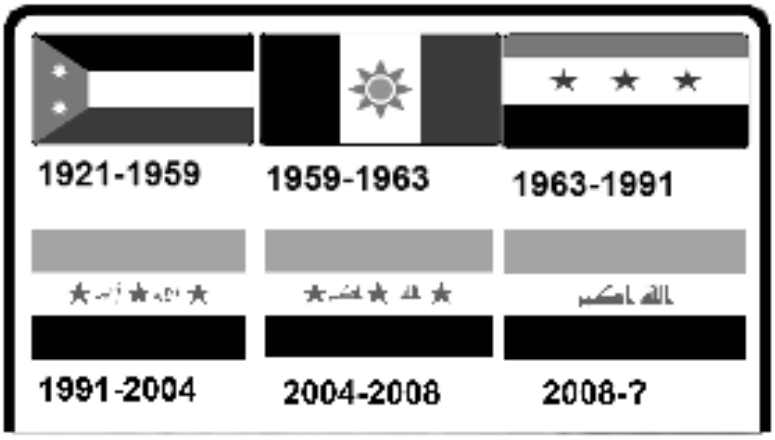

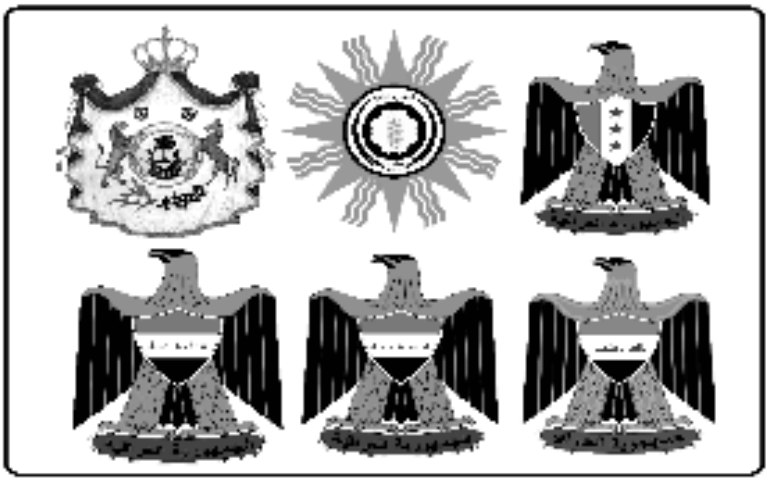

أوضح تعبير عن مدى اضطراب الدولة والهوية العراقية في هذه المرحلة الحديثة. انه خلال اقل من قرن، قد تغير علم وشعار العراق ست مرات متتالية، وحتى الآن ليس هنالك اتفاق عام عليهما!

الولادة الحديثة للعراق: الثروة والنقمة!

هذا المشهد يختصر هويةَ العراق في هذه المرحلةَ: النفط والماء!
لقد ظل العراق طيلة تاريخه يعيش على الماء، الذي هو سر حياته وحضارته، وايضا سر خرابه بسبب غزوات الطامعين.
وفي هذه المرحلةَ قد اضيفت اليه ثروةَ ونقمةَ جديدةَ: النفط!

إن الأوطان مثل البشر تولد وتنمو وتعيش شبابها وازدهارها، ثم تهرم وتتعب وتموت، ثم بعد حقبة تولد مرة جديدة، بهيئات وربما أيضاً بأسماء جديدة.

هكذا (الأمة العراقية) بدأت تولد من جديد بعد (حقبة موات) دامت حوالي سبعة قرون، والتي أعقبت سقوط بغداد 1258 على يد المغول ونهاية الدولة العباسية، وهي آخر دولة عراقية في المرحلة العربية الإسلامية. وقد تراجعت الحياة والثقافة في العراق إلى حد كبير، حتى أوائل القرن العشرين، حيث بدأ المخاض الفعلي عند الحرب العالمية الأولى. لقد لعب الجيش الإنكليزي بعد طرد العثمانيين واحتلال العراق عام 1917، دور القابلة التي لم تكتف بإجراء عملية التوليد بل أرادت لقاء ذلك:

الاستيلاء على المولود وامتلاك ثرواته الموروثة وجعله خادماً مطيعاً لها مثلما فعلت بباقي مستعمراتها!!

الحرب العالمية الأولى ومعنى التقدم والتحضر؟!

اسرى الجيش العثماني في بغداد 1918

إن أخذ فكرة عامة عن هذه الحرب، وعلاقتها بجوهر (الحضارة الغربية: الأوربية ـ الأمريكية)، ضروري جداً لفهم أحداث (العراق) وعموم المنطقة والعالم، في العصر الحديث:

يبدو أن تاريخ العالم يثبت لنا مرة أخرى وأخرى سذاجة الفكرة السائدة القائلة: بأن البشرية أفراداً ومجتمعات تسمو أخلاقها وينشط ضميرها، كلما تحضّرت وتقدمت بالمعارف والعلوم..

لكن التاريخ يصر على القول بأن هذه الفكرة (مجرد أسطورة رومانسية) تعبّر عن حلمه الأزلي ببلوغ المجتمع الأسمى. إذ أية جردة تاريخية سريعة تبين أن البشرية، مهما تقدمت وتحضرت، لن تزيد إلاّ من (جبروتها) وتطوير تقنياتها السلمية والحربية، المفيدة والمميتة، وتعقيد حياتها. أما (الأخلاق والضمير، وكل ما يتعلق بالخير والشر) فإنها أمور تماماً خارج (حالة التخلف والتحضر)، لأنها (طبيعية وغريزية) وجزء من حتميات وقوانين الطبيعة البشرية، كحال النوم والجوع والشهوات والميلاد والموت... إلخ.

إن الخالق قد حتم على البشرية، أفراداً ومجتمعات، أن تحمل إلى الأبد في داخلها (شياطينها وملائكتها)، وأن جوهر حياتها وسبب وجودها، هو (الخوض في كل لحظة، مع الذات ومع الآخر)، هذا الصراع الأزلي بين هذه الثنائيات المتضادة

الأبدية: الخير والشر، الظلام والنور، المعلوم والمجهول، الصحة والمرض، المحبة والضغينة، الكذب والصدق، القسوة والرحمة، الميلاد والموت... إلخ. وأن أقصى ما يمكن إنجازه وتعديله من قبل الإنسان والمجتمع، تغيير النسبة الغالبة للطرفين: في أحسن المجتمعات والحالات سترتفع نسبة الخير والصحة والمحبة إلى 60%، ونسبة الشرّ والمرض والضغينة تنخفض إلى 40%. أما في أسوأ المجتمعات والحالات وأكثرها تخلفاً ووحشية فإنها في أتعس حالاتها ستكون النسبة معاكسة.

إن المثال الأوربي يثبت لنا تماماً هذه الفكرة:

فهاهي (أوربا) التي نجحت منذ عصور النهضة والأنوار والثورة الصناعية، أن تخلق أعظم الحضارات جبروتاً وسطوعاً، لتصبح زعيمة العالم في جميع المجالات التقنية والاقتصادية والحربية والفلسفية والأدبية والفنية ووو... لكنها رغم ذلك، رقمياً وعملياً، تعتبر أكثر حضارات التاريخ ارتكاباً لجرائم الإبادة والاستعمار والاستعباد، بل هي أولى الحضارات التي بلغ بها هوس التفوق، بحيث إنها نفت صفة (البشر) عن سكان قارتي أمريكا وافريقيا، وشرعنت إبادة شعوب بكاملها (هنود أمريكا وأستراليا)[1]. وقامت بـ (صيد) ما بين (12 ـ 20) مليون إنسان أفريقي جرى رمي الكثير منهم في البحر بسبب ضعفهم، واستعباد الباقين واعتبارهم أقل من قيمة الحيوان[2]. وهي أكثر الحضارات حتى الآن التي شنت حرباً بلا هوادة على الطبيعة لاستغلال ثرواتها وتخريبها، بحيث إنها قضت على الجزء الأعظم من الغابات والأحياء والنباتات ولوثت الأرض والسماء بأضعاف الأضعاف مما تمكنت البشرية جمعاء من التلويث طيلة التاريخ!

هاهي (الحرب العالمية الأولى) أكثر الحروب دموية وتدميراً في تاريخ البشرية

(1) ـ عن جرائم الحضارة الأوربية:
ـ الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني: الأب مايكل برير.
ـ عن إبادة سكان قارة أمريكا الأصليين، فإنه خلال قرن (بين 1400 ـ 1500) انخفض عدد السكان من حوالي 50 مليون إلى 5 ملايين:
_ Courrier International, Hors _ série « Fiers d'être indiens » juin _ juillet _ août 2007, p. 19

(2) ـ ابحث بالعربي أو الإنكليزي والفرنسي عن: تجارة العبيد عبر الأطلسي: Atlantic slave trade

(طبعاً الحرب الثانية فيما بعد قد فاقتها) نشبت أساساً بين بلدان أوربا الغربية نفسها التي كانت هي بالذات الأكثر تحضراً وتقدماً من باقي أوربا. انفجرت في 28 تموز 1914 وخمدت في 11 تشرين الثاني 1918. شارك فيها أكثر من سبعين مليون عسكري، 60 مليون منهم أوربيون (والباقون من أمريكا وكندا وأستراليا). لقي حوالي 10 ملايين عسكري وسبعة ملايين مدني مصرعهم نتيجة الحرب، مع حوالي عشرين مليون جريح ومعاق. وبسبب هذه الحرب والخراب الذي تسببت به، حصلت الإبادة الجماعية بسبب (الإنفلونزا الأسبانية عام 1918)، التي قتلت ما بين 50 و100 مليون إنسان في جميع أنحاء العالم. وبسبب هذه الحرب، اندلعت ثورات وانتفاضات دموية في أنحاء أوربا ما بين 1917 ـ 1923 في العديد من الدول المشتركة.

وبلغ حينها التطور المعرفي والتخطيطي والحسابي والعقلاني والضميري عند الأوربيين، أنهم بعد نهاية الحرب اتخذوا أكثر القرارات والمواثيق عنجهية وتعصباً وتخلفاً، بحيث إنهم هيئوا بعد حوالي عشرين عاماً لاندلاع (حرب عالمية ثانية) هي الأسوأ والأهول بدرجة تفوق الخيال.

الولادة العسيرة للعراق

نساء عراقيات في عشرينيات القرن الماضي

بعد محاولات لتقاسم العراق والشام بين القوتين المستعمرتين (فرنسا وإنكلترا) ضمن اتفاقية (سايكس بيكو)، وبعد انتفاضة شعبية عنيفة عام 1920 قام بها العراقيون

ضد الاستعمار الإنكليزي، اضطر الإنكليز إلى الإقرار بالأمر الواقع والموافقة على تأسيس الدولة العراقية الحديثة في (23 آب 1921) بزعامة الملك الحجازي (فيصل بن حسين)، التي جمعت الولايات العثمانية الثلاث: بغداد والبصرة والموصل. وهذه الولايات الثلاث تمثل القسم الأكبر الأساسي والطبيعي من (وادي النهرين) كما انوجد في التاريخ منذ الفترة المسمارية والآرامية والإسلامية حتى العثمانية. ففي زمن الدولة العثمانية مثلاً كان ولاة بغداد دائماً هم المتحكمين رسمياً وواقعياً بولايتي البصرة والموصل.

وكما بيّنا في الفصل السابق أن جميع الإمارات الكردية التي قامت في المناطق الكردية العراقية، مثل (بهدينان) (إمارة بابان) و(إمارة سوران)، كانت تابعة لوالي بغداد، وأن محاولة (داود باشا ـ 1832) الشهيرة بتكوين دولة عراقية مستقلة عن العثمانيين هي أكبر دليل على روح الاستقلالية العراقية الطبيعية.

تجدر الإشارة إلى أن مساحة العراق في هذه المرحلة قد خضعت لحالة تقلص كبيرة من جميع حدوده. فلو قارنا حدوده الحالية مع الحدود التاريخية الجغرافية لبلاد النهرين المعروفة أيام العراق القديم وأيام العباسيين، وحتى أيام العثمانيين، للاحظنا أن الكثير من مناطقه قد ضمت إلى البلدان المجاورة، خصوصاً من ناحية الشرق حيث المناطق التي ضمت إلى إيران، والتي تشكل جزءاً جغرافياً وسكانياً وتاريخياً من سهل النهرين: (بلاد الأحواز عبادان والحويزة) مع (حلوان) شرق الكوت.

هل حقا ان العراق قد اصطنعه الانكليز؟

الجيش الهندي-البريطاني برئاسة الجنرال (مود) عند دخول بغداد 1917

وهي مقولة تعد من من اكبر الجرائم الثقافية السياسية التي اشاعها القوميون العروبيون وتبناها الكردويون وكل اعداء العراق. وهذا اجحاف بحق التاريخ والجغرافيا، التي تتفق على ان هذا الوطن الذي فرضته الطبيعة حول (دجلة والفرات) فيه تأسست اول دولة وحضارة في التاريخ. وحتى الذين احتلوه خضعوا لشروط الجغرافيا وتعاملوا معه ككيان سكاني وثقافي وسياسي موحد من اعالي نينوى حتى خليج البصرة ومن جبال زاغاروس حتى بادية الشام. ودام هذا الوضع حتى نهاية الاحتلال العثماني. اما الانكليز فقد استمروا مثل سابقيهم، بل هم بالعكس اقتطعوا اجزاء من حدوده الطبيعية. فهم حرصوا على حرمانه إلى حد أقصى من أي منفذ بحري، من خلال اقتطاع منافذه وسواحله في الكويت والأحواز. بالاضافة الى حرمانه من ثروات نفطية هائلة. وهذا قرار مقصود واستراتيجي خوفاً من نهوض العراق من جديد وأخذه لدوره السياسي والحضاري المعتاد عبر التاريخ.

المتغيرات والثورات في العراق الحديث

انتفاضة 1920 التي اجبرت الانكليز على الاسراع
بتكوين الدولة الملكية في 1921

إن (الثورة) مثل أية حالة (ولادة) مصحوبة بالألم والدم. لكن غاية الولادة، هي (المولود)، وليس آلام المخاض. لهذا فإنه خاطئ ذلك الاعتقاد السائد بأن (الثورة) هي (العنف والدم)، بل هي (المولود)، أي (الدولة والمجتمع الجديد). فكما أنه ليس كل وجع ونزيف يعني الولادة، كذلك ليس كل حالة عنف تعني الثورة.

إن مقياس (الثورة) بما (تتمخض عنه)، أي مجموع المتغيرات الضرورية والكبرى التي تحدث في تكوين وبنية وجوهر المجتمع والدولة، من النواحي الثقافية والاجتماعية والسياسية. إنها أشبه بالتغيير الذي يحدث في تكوين وجوهر الإنسان حينما ينتقل مثلاً من عمر (المراهقة) إلى عمر (الشباب)[3].

عموماً إن (عنف الثورات) يكون بمختلف الوسائل: التمرد الشعبي أو الانقلاب العسكري أو الحرب الخارجية. أما في حالة العراق، فإنه بعد الحرب العالمية الأولى

(3) ـ هنالك نوع من الثورات شبه السلمية تتمثل بحصول متغيرات اجتماعية وثقافية وحياتية كبرى، لكنها تبقى على الدولة والطبقة الحاكمة القديمة التي تقبل بالتعديلات الداخلية. وهذا يحصل عادة نتيجة تراكم متغيرات وإصلاحات بطيئة مع توالي الأجيال وحدوث اكتشافات تقنية جديدة ومتغيرات اقتصادية وبيئية وخارجية تفرض التغيير: (مثل تغير إيجابي أو سلبي بالمناخ، أو ظهور طريق تجاري جديد، أو ظهور أو اختفاء دولة قروية قريبة...). من الأمثلة في العصر الحديث على الثورة شبه السلمية: (الثورة البيضاء ـ بالفارسية: انقلاب سفيد) التي اضطر للقيام بها (شاه إيران) عام 1963 تقليداً لما حصل في مصر وفي العراق بعد عام 1958، فتم إقرار (إصلاح زراعي) نقل إيران إلى مجتمع حديث.
كذلك ما حصل في أعوام الثمانينات والتسعينات في البلدان الشيوعية السوفيتية والصين، عندما أنجزت (ثورتها السلمية الجذرية) بالانتقال من النظام الشيوعي إلى الرأسمالي.

والاحتلال الإنكليزي، امتزج عامل الحرب الدولية مع الانتفاضات الشعبية في أنحاء الوطن، والتي أطلق عليها مبالغة (ثورة العشرين). ولكن الثورة الحقيقية قد حصلت في بنية وتكوين العراق كله: انتهاء الاحتلال العثماني بنظامه العتيق ومجتمعه وثقافته التقليدية، ليحل المجتمع والثقافة والدولة العراقية الحديثة والمستقلة محله، (رغم جميع النواقص والعيوب التي سنذكرها).

إذن من المهم تمييز (الثورات الحقيقية) التي عاشها العراق في هذه المرحلة، وعدم خلطها بالانتفاضات العنفية والشعبية والانقلابات العسكرية الكثيرة. على هذا الأساس يمكن تسجيل تغييرين جذريين حقيقيين يستحقان تسمية (ثورة):

الثورة الأولى: 1914 ـ 1921 التي تمخضت عن المرحلة الحديثة (1921 ـ 2003)

بدأت مع دخول جيش الاحتلال الإنكليزي ونهاية الدولة العثمانية، ثم الانتفاضة العشائرية عام 1920، وتكوين الدولة العراقية الملكية عام 1921. ولكن للأسف إن هذا (المولود الجديد) منذ البداية، قررت (القابلة الإنكليزية) جعله معوقاً بتشويه كبير، خلق له الكثير من المصائب والحروب؛ لقد تعمّدوا جعل الدولة بغالبية مؤسساتها وقياداتها ـ وخصوصاً العسكرية ـ بيد (العرب السنّة) على حساب (الشيعة والأكراد)، أو بتفصيل أكثر طائفياً (سيطرة السنّة، وتهميش الشيعة). وقومياً (سيطرة العرب وتهميش الأكراد والتركمان وغيرهم). طبعاً هذه اللعبة جزء من السياسه الاستعمارية الإنكليزية والأوربية القائمة على أساس (فرّق كي تهيمن) وذلك بتفضيل أقلية وعزل الأكثرية.

وقد انقسمت هذه المرحلة إلى فترتين:

ـ الفترة الملكية (1921ـ 1958) التي سيطر فيها (التيار المعتدل: الملكي القومي وشبه الليبرالي) المدعوم من رجال الدين المسلمين واليهود والمسيح، مع ملاكي الاراضي، والمرتبط بمصالح بريطانيا.

ـ الفترة الجمهورية (1958 ـ 2003) التي سيطر فيها التيار الثوري اليساري بقسميه: القومي (العروبوي والكردوي) والشيوعي. الطرفان اتفقا على شعارات الاشتراكية ونظام الحزب الواحد وتبرير العنف الثوري.

الثورة الثانية عام 2003 التي تمخضت عن (الفترة ما بعد الحديثة)

من الخطأ الجزم بأن: (الثورة) تعني (التغيير نحو الافضل)، بل يمكن ان تعني (التغيير نحو الأسوأ). صحيح ان (الثورة) هي (التغيير الجذري) ولكن مثلما الانسان قد ينتقل الى عمر (شباب) في وضع أسوأ من وضعه في (عمر المراهقة) السابق، كذلك الأمم. وهذا ينطبق تماما على (العراق) ما بعد 2003.

وهي تستحق تسمية (ثورة.. لكن نحو الأسوأ)، لانها مرحلة جديدة دولتياً[4] وحزبياً واجتماعياً وثقافياً، أدت إلى قطيعة شبه تامة مع (المرحلة السابقة: الملكية والجمهورية). وهي ايضا مثل المرحلة السابقة بدأت بـ(قابلة استعمارية) تمثلت بـ (جيوش الاحتلال الأمريكي ـ الإنكليزي) التي قامت بإنهاء الدولة القديمة: (الملكية ثم الجمهورية، المهيمن عليها من قبل السنّة العرب) لتسلمها الى: (الشيعة والاكراد). وهذه المرة حرصوا على أن يكون (المولود الجديد) مشوها بعَوَقٍ أكبر وأخطر اجتمعت فيه كل عيوب التاريخ. إذ سلموا الدولة لـ(تيار جديد!) تم صنعه من قبل الانكليز والامريكان (بتواطؤ ايراني ـ خليجي) خلال عملية (تخصيب وتلقيح) لقيادات ونخب الاحزاب والمثقفين المعارضين في الخارج، لينجبوا مولودا هجينا مشوها يمكن تخيله بـ: لحية اسلامية وعمامة كردية حولها عقال خليجي مع بدلة مارينز امريكي، ويجلس على منبر عاشوراء ليلقي محاضرة عن الماركسية!!

أي انه بصورة علمية يمكن وصفه بـ: (تيار الفاسدين والعملاء) المغطى بالتعصب الاسلامي الشيعي والسنّي والقومي الكردوي، المدعوم من بقايا الشيوعيين.

***

(4) ـ دولتياً بمعنى (مكونات الدولة بجميع مؤسساتها، وليس فقط الحكومة التي تقودها).

المرحلة الملكية. الجمهورية

قادة دولة العراق الحديث بين 1921 و2003. من اعلى اليسار: الملوك: فيصل الاول، غازي، فيصل الثاني. ثم الرؤساء: عبد الكريم قاسم، عبد السلام عارف، عبد الرحمن عارف، احمد حسن البكر، صدام حسين

في عام 1914 اندلعت الحرب العالمية الأولى، ودخل الجيش البريطاني إلى البصرة قادماً من الهند وبمشاركة الكثير من الهنود. صاحب ذلك طغيان مياه نهر دجلة، وغرق الأقسام الجنوبية الشرقية من المدينة. عام 1916 تقدم الجيش البريطاني بقيادة الجنرال (ستانلي مود) واحتل مدينة الكوت المحاذية لبغداد. وفي عام 1917 دخل الجيش الإنكليزي إلى (بغداد) بقيادة الجنرال مود في 11 آذار. وبداية الاحتلال البريطاني ونهاية الفترة العثمانية.

انتفاضة الشيخ محمود الحفيد البرزنجي

الشيخ محمود الحفيد، وسط شخصيات من جنوب العراق

وهو من شيوخ الطريقة القادرية ومن عشيرة (برزنجة الكردية) التي تعتقد بنسبها إلى (الإمام موسى الكاظم)، حيث يوجد في قرية (برزنجة) مرقد جدهم (السيد عيسى). ويرتدون عمائم سوداء ولهم احترام كبير بين الناس. في عام 1919 اندلعت انتفاضته في السليمانية الكردية شمال العراق بقيادة (الشيخ محمود) وكان متحالفاً مع العثمانيين وشاركهم في البصرة عام 1914 في مواجهة زحف الجيش الإنكليزي، ثم بعد الاحتلال أعلن استقلال (شهرزور ـ السليمانية)، لكن انتفاضته فشلت وحكم عليه الإنكليز بالإعدام، ثم استبدلوه بالنفي للهند. وبعد سنتين تقريباً، اضطر الإنكليز إلى إعادته إلى السليمانية واستمر تمتعه بنوع من الحكم الذاتي حتى عام 1936 حين أعاد الإنكليز توحيد المملكة العراقية.

انتفاضة العشرين (وقد شاع اسمها مجازاً: ثورة العشرين)

إن الإنكليز ما كانوا مدركين للوضع العراقي، فلم يتفهموا التنوع القومي (عرب ـ أكراد ـ تركمان ـ سريان) ولا التنوع المذهبي (شيعة ـ سنة) ولا التنوع العشائري والثقافي. عام 1920 حصل انفجار انتفاضة العشرين (في شهر حزيران) ضد الاحتلال الإنكليزي. بدأت بوادر الانتفاضة في الاختمار شيئاً فشيئاً، بداية من اغتيال بعض القادة الإنجليز في النجف وبعض مناطق العراق. وكان رجال القبائل وشيوخها يلتقون فيما بينهم ومع السلطات الإنجليزية لتسيير شؤون البلاد، وكانت روح المقاومة تغلي في

نفوس رجال القبائل حتى اندلعت ثورة العشرين أو ثورة الفرات الأوسط. وكانت بداية هذه الثورة قد حدثت في (الرميثة ـ محافظة المثنى) عندما ثارت قبائل (بني حجيم) لتحرير شيخهم (شعلان أبو الجون) وهاجمت مقر الحاكم وخلَّصت شيخها بقوة وفتكت بحرسه في حزيران 1920. وكانت هذه الحادثة هي الشرارة الأولى للثورة. سيطر الثوار على مقاليد الأمور في المسيب وكربلاء والنجف ومعظم مدن الفرات الأوسط، وراحوا يشكِّلون سلطات محلية لحفظ الأمن.

وقد بارك هذه الانتفاضة مراجع الشيعة في كربلاء والنجف. وانتشرت في بعقوبة وديالى وأربيل وكركوك وسيطر الثوار على هذه المدن، ثم انضمت بغداد والفلوجة وحديثة للثورة، وعمَّت مدن العراق كلها. أخذت النجدات الإنكليزية تتوالى حتى وصل عدد القوات المحتلة إلى 133 ألف جندي، وبدعم جوي وبحري. وبعد عدة أشهر من القتال المستمر نجح الإنكليز في السيطرة على العراق مرة أخرى وهدأت الثورة، بعد إعلان العفو عن الثوار والوعد بتأسيس حكومة عراقية. استشهد في الثورة ما بين 6000 إلى 10000 من العراقيين، ومقتل 500 من الجنود البريطانيين والهنود. بعد قمع انتفاضة العشرين، اضطرت بريطانيا إلى تكوين إدارة عراقية شبه مستقلة من أجل تسيير الأمور دون مواجهة مباشرة مع العراقيين.

قيام الدولة الملكية العراقية:(1921 ـ 1958) واختيار (فيصل الهاشمي الحجازي) ملكا

الملك فيصل الاول، وعلى يمينه لورنس العرب، وعلى يساره نوري السعيد مع اللبناني رستم حيدر، وآخرين

عام 1921 في 23 آب تم ذلك بعد مماحكات وألاعيب كثيرة قامت بها (مس بيل) السيدة الإنكليزية الماسكة للملف العراقي. ونجحت بترتيب اختياره بدلاً من منافسيه: طالب النقيب، من أعيان البصرة. والشيخ خزعل الكعبي البصري، أمير الأحواز. ورغم أن (فيصل) لم يكن عراقياً، إلاّ أنه كان رجلاً حكيماً مثقفاً. قرَّب المثقفين ورجال الدين وجهد من أجل إحياء (الهوية الوطنية) الجامعة وتوحيد العراقيين من خلال تقريب الشيعة والأكراد والتركمان والسريان واليهود والصابئة إلى جانب إخوتهم السنّة، وإشراك جميع الفئات في إدارة الدولة.

التيارات الحزبية ـ الثقافية التي قادت هذه الفترة الملكية

ساطع الحصري، كان مفكر المرحلة الملكية، . من اصل سوري وتربية عثمانية تركية، وعاش في اليمن وليبيا واليونان وتركيا، ثم اشرف على تأسيس مناهج التربية والتعليم في العراق، والقائمة على اساس الفكر القومي العروبي

بعد صدمة غزو نابليون لمصر ثم الشام (1798 ـ 1801م) بدأت النخب في مختلف المجتمعات العربية والعثمانية (الأفندية)، تبحث عن الأفكار الإصلاحية وتتَّبني الحداثة الأوربية. وكان العراق من بين أوائل البلدان التي دخلتها ثقافة الإصلاح العثمانية (كما بينا في الفصل السابق). وكانت النخبة العسكرية والمدنية العراقية التي تحالفت مع الملك فيصل ومع الإنكليز، من هؤلاء الإصلاحيين الحداثيين. وهم

الذي أسسوا الدولة العراقية الحديثة وشيدوا البنية التحتية الحديثة للعراق اجتماعياً وتقنياً ودراسياً وثقافياً. وقد تدَعَّم هذا التيار أكثر في أوساط العشرينات بتجربة (كمال أتاتورك) العلمانية الجذرية في تركيا.

وتمكن هذا التيار من التفاهم مع التيار التقليدي الديني (رجال الدين الشيعة والسنّة) الذي لم يتمكن من تشكيل تيار ديني حزبي نشط (مثلا على غرار حزب الإخوان المسلمين في مصر). وقد نجحت نخبة الدولة في التخفيف من حدة الحساسيات الطائفية بين الشيعة والسنة، إذ جهد الملك إلى سد النقص الكبير في المشاركة الشيعية في أجهزة وقيادات الدولة بالإضافة إلى المشاركة الكردية، لكنها بقيت مشاركات محدودة مقارنة بنسبة (السنة العرب) الطاغية. وهنالك سببان متداخلان لهذه المشكلة: الحساسية العثمانية للسنّة ضد الشيعة وربطهم بالخطر الإيراني. وكذلك دور رجال الدين الشيعة، وخصوصاً الإيرانيين بتحريم مشاركة أبناء الطائفة في (الدولة السنية)، ليبقوا ضعفاء تابعين لإيران[5]!

وكان التيار الحداثي يجهد للمواءمة بين الميول (القومية العروبية) المعادية للعثمانيين بقيادة العائلة الهاشمية، والميول (الوطنية العراقية) التي تنظر إلى الواقع العراقي المتنوع قومياً: أكراد وتركمان وسريان، وخصوصاً بالنسبة لمشكلة الميول القومية الكردية المتنامية.

أهم أحداث هذه الفترة

ويمكن تسجيل الأحداث التالية المهمة خارجياً وداخليّاً التي حصلت في هذه الفترة وحددت مسارها:

ـ عام 1924 أي بعد ثلاثة أعوام من قيام حكومة الزعيم (مصطفى كمال) في تركيا، واختيار (أنقرة) كعاصمة لتركيا بدلاً من (إسطنبول)، أعلن عن الحركة الإصلاحية

(5) ـ هنالك مصادر عديدة تفصل هذه المعلومات:
ـ الشيعة والدولة القومية: حسن العلوي.
ـ لمحات اجتماعية: علي الوردي.
ـ تاريخ الحركة الإسلامية في العراق: عبد الرحيم الرهيمي.
ـ الشيعة: سمير نقاش.

الجذرية على الطريقة الغربية: إلغاء الخلافة العثمانية، وطرد الخليفة وأسرته من البلاد، وإلغاء وزارتي الأوقاف والمحاكم الشرعية، وتحويل المدارس الدينية إلى مدنية، وإعلان تركيا دولة علمانية. كذلك إجراءات شكلية عديدة، مثل منع المدارس الدينية والأذان والشوارب، وإحلال السدارة بدلاً من العمامة! وقد أصبح (كمال أتاتورك) وحركته الإصلاحية العلمانية رمزاً ونموذجاً لغالبية العسكريين والإصلاحيين والسياسيين والمثقفين في العراق والعالمين العربي والإسلامي، وقد حاول تقليده الكثيرون.

ـ عام 1925 انقلاب في إيران قام به الجنرال (رضا شاه بهلوي) الذي أنهى حكم السلالة (القاجارية التركمانية)، وغيَّر اسم (بلاد فارس) إلى (إيران)، وأسس (الشاه رضا بهلوي) حكماً ديكتاتورياً إصلاحياً غربياً متأثراً بإصلاحات (كمال أتاتورك) في تركيا، وأشاع فكرة (القومية الفارسية) القائمة على (معاداة العرب والإسلام) والدعوة إلى إعادة أمجاد ملوك فارس وإمبراطورياتهم.

عام 1925 الأحواز العربية ـ العراقية تُحتل من قبل إيران

قام الجيش الإيراني باحتلال إمارة (الأحواز ـ عربستان) وأسر الشيخ (خزعل الكعبي) الذي توفي في الأسر الإيراني عام 1936. وكانت هذه العملية الاحتلالية بالتوافق مع بريطانيا والمخطط الغربي القاضي بحرمان العراق من موانئه الطبيعية ومنابع النفط في الأحواز. وخصوصا بسبب التخوف من الزيادة الكبيرة بنسبة الشيعة حيث إن أهل الأحواز عرب شيعة ومتطابقون تماماً مع عشائر الأهوار والجنوب، وهذا العامل المعتم عليه يفسر لماذا تواطأ العثمانيون ثم الملكيون مع ايران!

ـ عام 1930 تولى نوري السعيد منصب رئاسة الوزراء في (23 آذار)، وقد لعب طيلة الفترة الملكية دوراً أساسياً في قيادة الدولة العراقية، حيث أصبح رئيساً للوزراء 14 مرة.

ـ عام 1932 انتهاء الانتداب البريطاني، والاعتراف باستقلال المملكة الهاشمية العراقية، وقبوله عضواً في عصبة الأمم المتحدة.

ـ عام 1933 وفاة فيصل الأول ملك العراق في (8 أيلول) جراء أزمة قلبية في سويسرا، وتولي ابنه غازي الحكم من بعده، وهنالك من يعتقد أن الملك فيصل قد تم تسميمه بسبب إصراره على إحياء الهوية العراقية.

ـ عام 1936 انقلاب العقيد (بكر صدقي) وهو (كردي بغدادي) ذو ميول وطنية إصلاحية، بالتنسيق مع السياسي (حكمت سليمان) (تركماني بغدادي)، وقد دامت حكومة الانقلاب أقل من عام، حيث تم اغتيال (بكر صدقي) من قبل عملاء الإنكليز.

ـ عام 1939 وفاة الملك غازي الأول في حادث سيارة في 4 نيسان، وتنصيب (عبد الإله الهاشمي) خال الملك وصياً على العرش؛ لأن (فيصل الثاني) لم يبلغ سن الرشد، وهنالك من يعتقد أن الملك غازي قد تم اغتياله من قبل الإنكليز بسبب تقربه من الألمان.

انفجار الحرب العالمية الثانية في ايلول 1939، والعراق رغماً عنه ضمن المعسكر الإنكليزي ضد الألمان!

هي أكبر وأعنف حرب في تاريخ البشرية، بدأت عام 1939 في أوروبا وانتهت في 2 أيلول 1945، وجرت بين طرفين: قوات الحلفاء (الإنكليز والفرنسيين ثم الروس والأمريكان)، ودول المحور (ألمانيا إيطاليا واليابان). شارك فيها مباشرة أكثر من 100 مليون جندي من أكثر من 30 بلداً، واستخدمت فيها لأول مرة القنبلتان الذريتان على (هيروشيما وناغازاكي) في اليابان، وكلفت هذه الحرب ما بين 50 و85 مليون قتيل، وقد ارتكبت ضد (اليهود) أبشع الجرائم والمحارق التي أبادت الملايين منهم، وقام الغربيون بالتعويض عن جرائمهم الوحشية ضد اليهود بتقديمهم (فلسطين) هدية مجانية لتأسيس (إسرائيل) التي تقوم بدور الوحش الأوربي الأمريكي للانتقام من الفلسطينيين والعرب، (لأنهم لم يشاركوا بمحرقة اليهود)!!

ـ عام 1941 انقلاب رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني وسمي مبالغة (ثورة مايس)، وهروب الوصي، وتشكيل الكيلاني لوزارته الجديدة والتي سميت بحكومة الإنقاذ الوطني في شهر (مايس/ آيار) وذلك أثناء الحرب العالمية الثانية، ويعتبر الكيلاني مقرباً من الألمان، وتمكن الجيش البريطاني من خلال قواعده العسكرية في العراق من إسقاط الحكومة وإعادة الاحتلال.

ـ عام 1948 مشاركة الجيش العراقي في الحرب العربية الإسرائيلية الأولى بعد إعلان دولة إسرائيل على أرض فلسطين عام 1947م، وضياع فلسطين واندحار الجيوش العربية.

ـ عام 1952 قيام (ثورة يوليو- تموز المصرية) وهي انقلاب عسكري قام به تنظيم الضباط الأحرار في الجيش المصري بزعامة اللواء محمد نجيب وقيادة البكباشي جمال عبد الناصر، ثم ألغيت الملكية وأعلنت الجمهورية في 18 حزيران 1953، وهذه الثورة العسكرية المصرية كان لها دور حاسم في دفع الضباط العراقيين إلى تنظيم أنفسهم من أجل الإطاحة بالنظام الملكي.

ـ عام 1953 استقالة عبد الإله الهاشمي عن وصاية العرش، واستلام (الملك فيصل الثاني ابن الملك غازي) عرش العراق، وكان عمره (18 عاماً).

ـ عام 1953 انقلاب عسكري في إيران ضد (حكومة مصدق) الوطنية التي أمَّمت شركات النفط الغربية، وكان الانقلاب من إعداد المخابرات الأمريكية.

ـ عام 1955 إنشاء (حلف بغداد) وهو أحد الأحلاف التي شهدتها حقبة الحرب الباردة، للوقوف بوجه المد (الروسي السوفيتي الشيوعي) في الشرق الأوسط، وكان يتكون من العراق وبريطانيا وتركيا وإيران وباكستان. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية هي صاحبة فكرة إنشاء هذا الحلف حيث وعدت بتقديم العون الاقتصادي والعسكري.

ـ عام 1956 اندلاع حرب السويس، أي ما يسمى بالعدوان الثلاثي الذي شنته (بريطانيا وفرنسا وإسرائيل) ضد مصر، إثر قيام جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس، وقد قدم الاتحاد السوفيتي إنذاراً ضد الدول المعتدية، وانتهت الحرب بانسحاب الجيوش واعتبار عبد الناصر منتصراً، ولعبت هذه الحرب دوراً كبيراً في بروز ناصر باعتباره بطلاً قومياً عروبياً، ودفع الحركة المعادية للوجود الاستعماري ورفض الملكية.

ـ عام 1957 في 9 آذار قيام (جبهة الاتحاد الوطني) بين الحزب الشيوعي

والحزب الوطني الديمقراطي وحزب البعث وحزب الاستقلال. أما (حزب البرزاني الكردي) فقد دخل الجبهة فقط بالتحالف مع الحزب الشيوعي، وصدر بيان الجبهة الأول وفيه أهدافها: تنحية وزارة نوري السعيد وحل المجلس النيابي، والخروج من حلف بغداد، وإطلاق الحريات الديمقراطية في البلاد، وإلغاء الإدارة العرفية وإطلاق سراح السجناء، وقد نسقت هذه الجبهة مع تنظيم الضباط الأحرار للإعداد للانقلاب العسكري.

ـ عام 1958 في 14 شباط، تشكيل الاتحاد العربي ويعرف أيضاً بـ (الاتحاد الهاشمي)، وهو اتحاد غير اندماجي بين المملكة العراقية والمملكة الأردنية الهاشمية، وعضويته مفتوحة لكل دولة عربية. في 19 آيار 1958 شكلت أول حكومة للاتحاد.

ـ عام 1958 في 22 شباط قيام (الجمهورية العربية المتحدة) أي الوحدة الاندماجية بين (مصر وسوريا)، وكانت هذه التجربة الوحدوية رداً على تجربة الاتحاد بين العراق والأردن، وكان لها أيضاً دور مهم في دعم التيار العروبي في العالم العربي وفي العراق خصوصاً، وتشجيع العسكريين العراقيين على التمرد ضد النظام الملكي من أجل الانضمام لهذه الوحدة، وهذا ما حصل في انقلاب تموز 1958.

قيام الجمهورية: 1958 ـ 2003

التيارات الحزبية. الثقافية والفترة الجمهورية

ظل (التيار الحداثي، شبه الليبرالي) منذ الحقبة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية (1945).

ولكن بعد نهاية الحرب، بدأ تياران جديدان يساريان ينتشران بقوة بين النخب العراقية:

التيار (القومي: العروبي والكردي)

الرئيس المصري جمـــال عبد الناصر، وزعيم حزب البعث، السوري ميشيل عفلق، كانا اهم رموز التيار العروبي في هذه الفترة.

بالنسبة للتيار (العروبي ـ البعثي) فإنه كان يأتي من بلاد الشام، ثم تعزز في الخمسينات بالتجربة العسكرية المصرية وزعامة جمال عبد الناصر، والعدوان الثلاثي على مصر عام 1956، ثم زاد هيمنة مع قيام الوحدة المصرية ـ السورية عام 1958، وتنامي سمعة الثورة الجزائرية ضد الفرنسيين[6].

أما التيار (القومي ـ الكردي) فكان زمن العثمانيين يتغذى على الدعم الإنكليزي، ولكن في هذه المرحلة تلقى الدعم خصوصاً من المعسكر الشيوعي والسوفيتي؛ لأن (الملا مصطفى البرزاني) كان مقيماً في الاتحاد السوفيتي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بعد مشاركته في تجربة كردية إيرانية فاشلة، كذلك لأن معظم قادة الحزب الشيوعي العراقي كانوا من الأكراد.

(6) ـ نجلب الانتباه إلى أننا نميز بين (الانتماء القومي الطبيعي إلى العرب أو إلى الأكراد، وباقي القوميات، كبشر وتاريخ وثقافة ولغة) و(الانتماء القومي السياسي) المحمَّل بالكثير من الطروحات العنصرية وشحن التعصب ضد القوميات الأخرى.
نحن شخصياً (المؤلف) نعلن دائماً انتماءنا الطبيعي والتاريخي والعائلي إلى (عرب العراق) وإلى جميع الشعوب العربية. ولكننا نرفض الأحزاب القومية التي ساهمت بتمزيق شعوبنا وشحن الأحقاد القومية. وكما سبق وأن كتبنا: نحن مع العرب، وضد العروبة.

التيار الماركسي الشيوعي

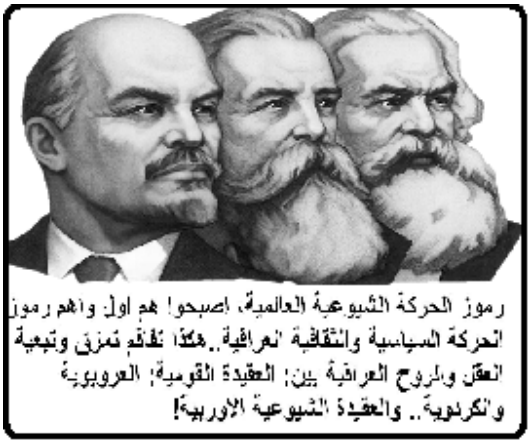

الذي اكتسب شعبية كبيرة بعد انتصار الاتحاد السوفيتي في الحرب وبروزه قوة عالمية معادية للاستعمار، وظهور الرئيس السوفيتي (ستالين) كزعيم عالمي منقذ! وقد تحول الحزب الشيوعي العراقي الى اكبر حزب عراقي (جماهيري ونخبوي) وفي عموم الشرق الاوسط. رغم العداء المعلن بين التيارين (الشيوعي والقومي العروبي) بخصوص (فلسطين والوحدة العربية وعبد الناصر)، إلاّ أنهما اتفقا على: الحلول الجذرية الثورية والاشتراكية، ورفض الملكية، وإدانة الديمقراطية (التسيب الليبرالي!) ومناهضة الاستعمار، وتشجيع العنف والكفاح المسلح، ودعم الانقلابات العسكرية.

التحالف الانتهازي والصراع الدامي، بين التيارين

منذ أعوام الخمسينات بدأ هذان التياران يسيطران على الغالبية الساحقة من النخب العراقية الثقافية والسياسية والعسكرية وتمكنا من الإزاحة شبه التامة للتيار الحداثي وخصوصاً قسمه الملكي الإنكليزي، وكذلك الإزاحة الكاملة لدور رجال الدين والفكر الديني عن التأثير على النخب العراقية.

يمكن اعتبار (انقلاب 14 تموز 1958 العسكري) تعبيراً عن نجاح (التحالف العدائي المؤقت: جبهة الاتحاد الوطني 1957) بين هذين التيارين، والإعلان عن بدء سيطرتهما المطلقة على مقدرات الأمور في الوطن، ثم أعقب ذلك دخول العراق

في (صراع سياسي ـ عسكري ـ ثقافي) وحشي دامٍ وهمجي بين هذين التيارين، وقد استعانا في حربهما الضروس هذه بكل مخابرات ومؤامرات ومؤسسات إعلام وثقافة المعسكرين العالميين المتصارعين (السوفيتي والغربي). فأصبح العراق طيلة الحقبة الجمهورية ساحة للصراع الإقليمي والعالمي من خلال أحزاب وقوى هذين التيارين.

وظل هذان التياران متحكمين بالوضع العراقي دولة وشعباً بصورة مطلقة طيلة الفترة الجمهورية حتى أعوام الثمانينات، حيث بدأ بروز التيار الديني الحزبي (الشيعي خصوصاً ثم السنّي)، وأخيراً بعد الاجتياح الأمريكي عام 2003 تم القضاء شبه التام على هذين التيارين (الشيوعي ـ والقومي) وسيطرة التيارين الديني، ثم صعود بطيء للتيار الحداثي الوطني بجميع تنوعاته.

انقلاب تموز عام 1958 العسكري وقيام الجمهورية

كان بقيادة (الزعيم عبد الكريم قاسم) ذي الميول الشعبية اليسارية، مع حليفه (العقيد الركن عبد السلام عارف) ذي الميول القومية الناصرية، وبدعم من (جبهة الاتحاد الوطني: الشيوعية ـ البعثية) و(الجمهورية العربية المتحدة: مصر وسوريا) وكذلك الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي.

لا زال حتى الآن العراقيون يتجادلون حول هل هو: (ثورة تموز الشعبية) أم: (انقلاب تموز الدموي)؟!

فمن ناحية إنه: (انقلاب عسكري ديكتاتوري دموي)، إذ في يوم الانقلاب تم الإعلان رمزياً عن افتتاح نهر الدم من خلال تصفية العائلة المالكة في بيتها: (الملك فيصل) وخاله (الأمير عبد الإله)، و(الملكة نفيسة) جدة الملك و(الأميرة عابدية) أخته، مع الطباخ التركي والمرافقين، وبعد يومين تم قتل رئيس الوزراء (نوري السعيد) وابنه (صباح)، ثم الشروع بما سمي بـ (محكمة المهداوي) التي راحت تعدم وتحكم بتعسف على قيادات العهد السابق.

ومن ناحية ثانية، هنالك (الجانب الثوري) المتمثل بإنجازات إصلاحية ضرورية:

قانون الإصلاح الزراعي الذي قضى على الإقطاع ووزع الأراضي على الفلاحين. كذلك إسكان المهاجرين الجنوبيين في بغداد وبناء مدينة الثورة، وإصدار قانون رقم (80) لتحديد ملكية شركات النفط في أرض العراق، وتشييد المؤسسات التربوية والصحية والرياضية. أما على الصعيد الخارجي، فإن السياسة الحكومية كانت معادية للاستعمار الغربي والتقرب من المعسكر الشيوعي، وكذلك دعم حركات التحرر وبالذات (الثورة الجزائرية).

ـ عام 1959 محاولة انقلاب العقيد الشواف في شمال العراق (كركوك والموصل)، والحكم بالإعدام على أعضاء تنظيم الضباط الوطنيين (قوميين عروبيين ناصريين) وتنفيذ الحكم في ساحة أم الطبول.

ـ عام 1961 إعلان تمرد (الملا مصطفى البرزاني) الزعيم القومي الكردي، وهو أيضاً شيخ الطريقة النقشبندية في شمال العراق، ضد الحكومة الجمهورية، بسبب الإصلاحات الزراعية وضرب مصالح الإقطاع.

ـ في 28 أيلول عام 1961 انقلاب عسكري في دمشق وإعلان فسخ الوحدة بين مصر وسورية، وإعلان سوريا عن قيام الجمهورية العربية السورية، بينما احتفظت مصر باسم الجمهورية العربية المتحدة.

عام 1963 انقلاب 8 شباط من قبل مجموعة من الضباط في حزب البعث

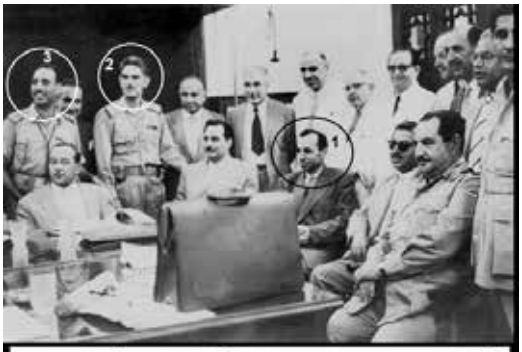

هذه الصورة تعبير مباشر عن العقلية التي سادت هذه الفترة والمشابهة تماما لعقلية الفترة السابقة مع اختلاف الشكل: عقلية خضوع احزاب وقيادات العراق فكريا وسياسيا لقيادات من خارج العراق! لاحظ البعثي السوري (ميشيل عفلق:1) يجلس بكبرياء وحوله(تلاميذه!) قادة ما يسمى بالثورة: (عبد الكريم قاسم:2) و(عبد السلام عارف:3)!

حيث تم إعدام عبد الكريم قاسم واستلام عبد السلام عارف منصب رئاسة الجمهورية العراقية، وكان الانقلاب بدعم من مصر الناصرية، وتخلل الانقلاب عمليات قتل وسجن وتعذيب وحشي ضد الشيوعيين، وبعد أشهر تم انقلاب داخلي قاده عبد السلام ضد شركائه البعثيين بقيادة البكر، وجرت حرب شوارع بين الطرفين أدت إلى مقتل الكثيرين.

ـ عام 1966 مقتل عبد السلام عارف في حادث سقوط طائرة هليكوبتر مساء 13 نيسان 1966، ويعتقد أنها حادث مدبر من قبل خصومه، وتولى أخوه (عبد الرحمن عارف) مقاليد الحكم في العراق بعد التصويت عليه من قبل مجلس الوزراء.

ـ عام1967 مشاركة الجيش العراقي في الحرب العربية الإسرائيلية الثانية (حرب حزيران 1967)، وكانت خسارة كبرى للجيوش العربية، حيث استولت إسرائيل على النصف المتبقي من فلسطين (الضفة الغربية)، وكذلك الاستيلاء على (الجولان السورية) وسيناء المصرية، وتدمير الجيش المصري وطيرانه بالكامل، وقد أطلق عليها (نكسة حزيران).

عام 1968 في 17 تموز انقلاب البعثيين

تعيين أحمد حسن البكر رئيساً للجمهورية العراقية

الجمهورية

انقلاب عسكري في العراق

بالتعاون مع العسكريين القوميين، تمت إقالة الرئيس (عبد الرحمن عارف) وتعيين (العقيد أحمد حسن البكر) بدله، ورغم الطابع الديكتاتوري والقمعي لهذا الحكم البعثي الجديد، إلاّ أن النخبة الحاكمة كانت تميل إلى نوع من الإصلاح الجذري وتحسين أوضاع العراق، حيث جرت بعض المنجزات المهمة، مثل تحسين الإصلاح الزراعي وقوانين لصالح العمال والتنمية الصناعية والتربوية، وقد تمت الاستفادة خصوصاً من ارتفاع أسعار النفط عالمياً بعد حرب تشرين 1973.

ـ عام 1970 الرئيس أحمد حسن البكر والملا مصطفى البرزاني يعلنان في 11 آذار عن اتفاقية الحكم الذاتي للأكراد.

ـ عام 1970 ثم تأميم نفط العراق في الأول من حزيران.

ـ عام 1972 التوقيع على معاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفيتي في 9 نيسان، التي شكلت عاملاً مهماً في علاقة النظام مع الحزب الشيوعي العراقي ومع دول العالم، وخصوصاً المعسكر الاشتراكي، وشهد العراق تنمية ورخاء اقتصادياً خلال أعوام السبعينات.

ـ عام 1973 مشاركة الجيش العراقي في الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة (حرب

تشرين ـ أكتوبر)، ومساعدة سوريا ودعمها وقطع النفط عن الدول الغربية، وقد انتهت الحرب بتحرير قناة السويس فقط، والفشل بتحرير باقي الأراضي المحتلة.

ـ عام 1973 قيام الجبهة الوطنية بين حزب البعث الحاكم والحزب الشيوعي، وتعيين وزراء شيوعيين.

ـ عام 1974م بداية تردي العلاقات مع إيران، بسبب تشجيع شاه إيران للملا البرزاني على التمرد ضد الحكومة العراقية.

ـ عام 1975 اتفاقية العراق مع إيران والتفاوض بشأن تنازلات بخصوص الخلاف الحدودي، على أن تتوقف إيران عن دعم تمرد البرزاني، وسميت (اتفاقية الجزائر)، وقد تنازل (صدام حسين) بموجبها إلى إيران عن نصف شط العرب (الضفة الثانية)، وكذلك (الأحواز) ومدينة (المحمرة) بالذات.

ـ عام 1978، شنَّت حكومة البعث حملات القمع ضد الحزب الشيوعي حليفهم في الجبهة الوطنية وتوتر العلاقات مع الاتحاد السوفيتي، وبدء تحول العلاقات التجارية نحو الغرب.

ـ عام 1979 قطع العراق علاقاته الدبلوماسية مع إيران، نتيجة خلافات على سيادة دولة الإمارات العربية المتحدة على الجزر الثلاث «جزيرة أبي موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى» بعد انسحاب القوات البريطانية منها، وتوتر العلاقات العراقية الإيرانية.

ـ عام 1979 استقالة أحمد حسن البكر من رئاسة جمهورية العراق لظروفه الصحية وتسليم السلطة لنائبه صدام حسين في 16 تموز 1979، وقيل: إن (البكر) قد أجبر على الاستقالة ثم مات مسموماً من قبل صدام عام 1982.

مجيء صدام وانحدار العراق نحو أعماق جهنم

البكر يذيع بيان انقلاب تموز 1968 وفي اقصى اليسار يقف صدام حسين ضمن الحماية لانه كان مسؤلا عن (جهاز حنين) العنفي الصدامي!

يصح القول: إن العراق قد بدأ يصعد بصعوبة وزحف منذ تكوين دولته الحديثة عام 1921، ولكنه فجأة بانقلاب 14 تموز 1958 العسكري المتطرف، بدأ الانحدار في هاوية الصراع والدم، وقد حاول البعثيون بقيادة (البكر) إيقاف هذا الانحدار ومحاولة الصعود من خلال بعض الإصلاحات والتحالفات الداخلية والخارجية، لكن فجأة خرج شيطان الشر الأكبر من قمقمه عام 1979 ممثلا بـ (صدام حسين) ليقود العراق سريعاً سريعاً نحو هاوية جهنم والحروب والدم والتي بلغت ذروتها بالاجتياح الأمريكي عام 2003.

ـ عام (1979) في 22 تموز أعلن صدام إعدام العشرات من القياديين الكبار في حزب البعث بتهمة التحالف مع رئيس سوريا (حافظ الأسد)، وقد مات معظمهم تحت التعذيب، ومن أبرزهم: عبد الخالق السامرائي ومحمد عياش وعدنان الحمداني ومرتضى الحديثي والفريق الركن وليد محمود سيرت.

عام 1980 في شهر أيلول قيام الحرب العراقية الإيرانية (حرب الخليج الأولى): وكانت حرباً مدمرة للبلدين، استخدمت فيها جميع الأسلحة المسموحة والمحظورة وقتل وأسر وجرح فيها عدة ملايين، بالإضافة إلى تدمير البنية التحتية، وخسارة العراق خلال سنوات الحرب كل المليارات التي جناها من النفط منذ اكتشافه عام 1927.

ـ تدمير مفاعل تموز في 7 حزيران 1981: قام الطيران الإسرائيلي بتنفيذ (عملية أوبرا، أو بابل) بقصف المفاعل النووي العراقي (تموز)، بحجة أنه سينتج الأسلحة

النووية، وكان قد بدأ العمل ببناء المفاعل منذ أعوام الستينات، وفي عام 1976 اشترى العراق مفاعلاً نووياً من طراز «أوسايرس» من فرنسا، قتل في العملية 10 جنود عراقيين ومدني فرنسي واحد.

نهاية الحرب في 8 آب 1988

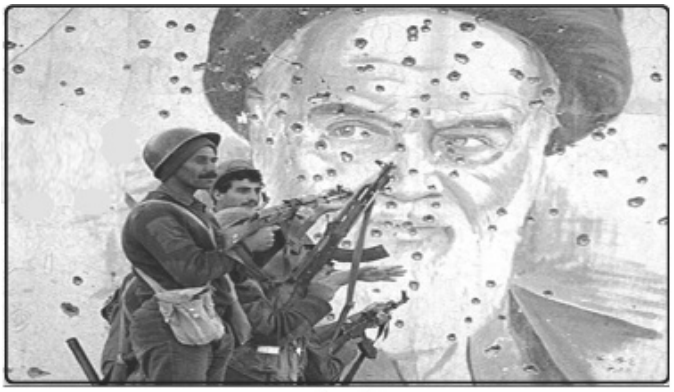

الجيش العراقي في الاحواز

بعد موافقة إيران على هدنة مع حكومة بغداد، اقترحتها الأمم المتحدة لوقف إطلاق النار بين الطرفين بقرار (598)، وقد اعتبرت الموافقة الإيرانية على السلام نوعاً من الهزيمة وانتصاراً عراقياً، وفيها قال (الخميني) مقولته الشهيرة:

(تباً لي لأني عشت حتى هذه اللحظة وشربت كأس السم بقبول هذا القرار)[7].

وبعد عشرة أشهر في 3/ 6/ 1989 توفي الخميني خائباً منتكساً، لكن إيران بسليقتها التاريخية الانتقامية لم تنس هذا السم وهذه الهزيمة، فنفذت شر انتقام من العراق دولة وشعباً، بفضل مشاركتها الأمريكان في الاحتلال بعد 2003. فقامت ميليشياتها بتصفية عشرات الطيارين العراقيين الذين شاركوا بتلك الحرب (وغالبيتهم من الشيعة)، وسلطت على العراقيين أشرس الوحوش والسراق والإرهابيين.

(7) ـ وردت هذه العبارة الشهيرة في نص كلمة الخميني التاريخية في 19 تموز 1988عشية موافقته على قرار أممي لوقف الحرب بعد أكثر من سنة على رفضه.

حرب الخليج الثانية والنظام العالمي الجديد!

ـ عام 1989 سقط جدار برلين الفاصل بين النظامين الشيوعي والرأسمالي، وبدأت عملية انهيار المعسكر الاشتراكي ونهاية الاتحاد السوفيتي (الذي كان حليفاً كاملاً لنظام صدام حسين). إذ في 26/ 12/ 1991 أعلن مجلس السوفييت الاعتراف باستقلال الجمهوريات السوفيتية السابقة.

ـ عام 1990 في 2 آب قرار صدام باجتياح الجيش العراقي للكويت واحتلالها وضمها وإلغاء جميع السفارات الدولية فيها، واعتبارها المحافظة 19، واستمر لمدة 7 شهور.

كانت هذه الخطيئة القاتلة التي منها بدأ تدمير النظام ومعه العراق بكامله. إن طيش صدام منعه من إدراك الحقيقة الساطعة: أن انهيار الحليف السوفيتي والمعسكر الاشتراكي، يعني انتصاراً ساحقاً للمعسكر الرأسمالي الأمريكي والإسرائيلي، ومن الرعونة مواجهته وإعطاؤه السبب كي يحول العراق إلى (كبش فداء) لهذا الانتصار التاريخي الكبير.

وليس صدفة أنه في هذه الأزمة الدولية ظهر مصطلح (النظام العالمي الجديد) الذي استخدمه الرئيس الأمريكي (جورج بوش) في خطابه في (11 أيلول 1990) بمناسبة إرسال القوات الأمريكية إلى الخليج، وتحدث عن: «عصر جديد»، و«حقبة للحرية»، و«زمن للسلام لكل الشعوب»، وهذا في الحقيقة إعلان عن (نظام القطب

الأمريكي الغربي الواحد) بدلاً من (نظام القطبين، الشيوعي والرأسمالي) السابق.

ـ في 16/ 1/ 1991 بدأت (حرب الخليج الثانية)، مع الهجوم الأمريكي على العراق وعملية (عاصفة الصحراء) لتحرير الكويت، وتعرضت بغداد لقصف جوي أمريكي عنيف، وإلقاء كمية كبيرة من المتفجرات (بما فيها نووية صغيرة) على بغداد وضواحيها، وتهديم معظم الأبنية الحكومية ومصانع الجيش العراقي وقطع الطرق والجسور وإلغاء مرافق الحياة المدنية من كهرباء وماء وهواتف أرضية، وإرجاع بغداد لعصر ما قبل النهضة، وفقدان الكثير من الأرواح، وتدمير البنية التحتية للاقتصاد العراقي، وردَّت حكومة بغداد على القصف الجوي بعدة صواريخ سكود ضربت بها مدينتي الظهران والرياض في السعودية وأهدافاً داخل إسرائيل، وانتهت الحرب بانسحاب دموي للقوات العراقية من الكويت في 24 شباط 1991، حيث بدأت قوات الائتلاف توغلها في الأراضي الكويتية وبعد 3 أيام تمت إعادة السيطرة على الكويت.

ـ عام 1991 اندلاع (الانتفاضة الشعبانية) في الجنوب رداً على دور الحكومة في هزيمة الجيش العراقي في الكويت، وقد بدأها الجنود المهزومون ومعهم الكثير من المواطنين بمحاصرة إدارات الدولة والمطالبة بإسقاط النظام. كذلك شاركت بها عناصر من (فيلق بدر) التابع للمجلس الأعلى الإسلامي ومقره إيران، ثم في شمال العراق تحركت أيضاً ميليشيات البيشمركة الكردية، وشملت الانتفاضة أربع عشرة محافظة من أصل ثماني عشرة. لكن تم إبادتها بتدخل عسكري وقصف جوي، سمح به الأمريكان، خوفاً من نجاح الانتفاضة وقيام نظام وطني خارج سيطرتهم.

ـ بدء الفترة المظلمة من كل النواحي الوطنية والإنسانية، حيث تم تطبيق الأمم المتحدة للحصار التام على العراق وتجويع شعبه من أجل إسقاط الديكتاتور، واستمرار أمريكا بقصفها للعراق بين حين وآخر، وانخفاض قيمة العملة، وهجرة الشباب والكوادر خارج العراق.

ـ عام 1991 في تشرين الثاني انسحاب الجيش العراقي من المحافظات الكردية الثلاث، بسبب حظر الطيران العراقي من قبل القوات الأمريكية، وبدء تشكيل إدارة كردية ذاتية تحت حماية أمريكية.

حرب ام الكمارك الكرديه . الكرديه

عام 1994 ـ 1996 اندلعت حرب أهلية دامية بين ميليشيات (الطلباني) وميليشيات (البرزاني) أدت إلى تقسيم فعلي للمنطقة الكردية، وقد أطلق عليها اسم (حرب أم الكمارك) بسبب النزاع على تقاسم أموال الكمارك بين الحزبين، وكلفت هذه الحرب مئات الآلاف من القتلى والجرحى والمفقودين من الأكراد، وفي 22 آب 1996 اتفق (مسعود البرزاني) مع (صدام حسين) على دخول الجيش العراقي إلى (أربيل) لطرد ميليشيات (الطلباني) وتسليم المعارضين العراقيين لمخابرات النظام، ولم يتم الصلح بين الطلباني والبرزاني إلاّ بضغط أمريكي، بعد سقوط نظام صدام حسين عام 2003.

المشكلة الكردية

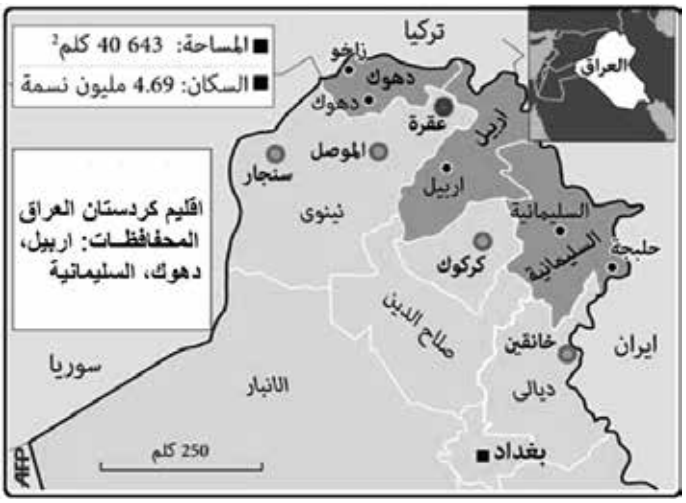

نرجو معاينة الخارطة الملونة والمفصلة في ظهر الغلاف الاخير

في هذه المرحلة استفحلت مشكلة وضع الاكراد في الدولة العراقية الجديدة. وقد دخل عامل جديد الا هو القوى الاستعمارية الاوربية ثم اسرائيل وامريكا فيما بعد، بالاضافة الى دول المنطقة. وقد جهدت جميع هذه القوى من اجل تعقيد هذه المشكلة ومنع حلها حتى الآن، من خلال دعم القيادات الكردية واستخدامها لاضعاف الدولة العراقية. ومازالت وسيلة للعب والابتزاز لابقاء العراق مضطربا في حالة احتراب ونزيف، والاكراد ضحايا دائمين لتجار الحروب.

وليس الدعم المالي والعسكري وحده يساهم بديمومة هذا الاحتراب، بل هنالك ما هو اخطر الا وهو (الدعم الثقافي) من قبل مؤسسات اسرائيلية ودولية تعمل على (تزييف تاريخ الاكراد وعموم الشرق الاوسط) كما عملت بالضبط مع (تاريخ فلسطين). ومحور هذا التزييف يتركز على خلق (تاريخ كردي خيالي) يدعي ان جميع دول وحضارات المنطقة هي (كردية): السومريون والاشوريون والميديون والفرس والحيثيون.. الخ.. بل (آدم) نفسه هو (كردي)، وان العراقيين عبارة عن (عرب بدو همج) أتوا من الصحاري وحطموا (الحضارة الكردية) التي هي اولى واكبر واشمل الحضارات العالمية.

مثقف عراقي كردي يفضح ثقافة التزييف والتعصب

((لو تصفح واحدنا كراسات التاريخ الكردي التي دونها القوميون الكرد سيجد أسماء كـ(بدرخان ومير محمد كور ويزدان شير) وسواهم، وصولاً إلى (سمكو)، تحتل مكانة بارزة منقوشة بآيات التبجيل والتقدير، بوصفهم أبطالاً قوميين، فيما هم كانوا قتلة سفاحين أهلكوا عشائر وقبائل معادية وجماعات مغايرة. إقليم كردستان ليس ملكية الكرد وحدهم. كان، في الأصل، موطن السريان والآشوريين الذين لم يتقلص حجم حضورهم ومدى وجودهم إلا لأنهم تعرضوا للمهالك والمجازر، في (أورمية) و(سلماس) و(نوهدرا) و(أربيل) و(زاخو)، هذا من دون أن نعرج على (الدور المرعب) للعشائر الكردية في (الفتك بالأرمن) في (حملات الإبادة) التي شنتها عليهم الدولة التركية في كل الولايات التي يشكل الكرد الآن غالبيتها. كانت (قارص وموش وديار بكر وألازغ وأورفة نصيبين وطور عابدين ومناطق هكاري)، وسواها، موطن الأرمن والسريان.))...[8]

نزار آغري: مقال بعنوان: (الجانب غير اللائق من التاريخ الكردي) جريدة الحياة 16 نيسان 2017

مشروع (امبراطورية كردستان الكبرى) وحقيقة (معاهدة سيفر: Treaty of Sèvres)!

دائما وفي جميع كتب التاريخ الحديث التي تتحدث عن (مشروع دولة كردستان الكبرى) تستند الى هذه الحجة الدولية القانونية الدامغة: ان (معاهد سيفر: عام 1920) التي اقرها الحلفاء لتقاسم تركة (الدولة العثمانية) بعد هزيمتها في الحرب العالمية الاولى، قد اقرت (انشاء دولة كردية)!

(8) ـ لمن يرغب بمعرفة دور اغوات ومرتزقة الاكراد في ذبح المسيحيين الارمن والسريان، ليبحث في الانترنت وخصوصا في ويكيبديا عن العناوين التالية: ـ الإبادة الجماعية للأرمن/ مذابح سيفو/ مجازر ديار بكر (1895)

وهذا نصف الحقيقة، والنصف الثاني تم تحريفه تماما، فيما يخص نقطتين خطيرتين: (تسمية دولة) و (اين تتواجد)؟![9] من المعلوم بأن (المادة 3 ـ كردستان: SECTION III. KURDISTAN) وتحتوي على الفقرات (62 و63 و64) هي التي تحدد بالضبط هذا الموضوع الذي تم تشويهه تماما من قبل الاطراف المتعصبة، لانه:

1ـ لا يتحدث ابدا عن (مشروع دولة كردية) بل يقول حرفيا: (local autonomy) أي (حكم ذاتي). بينما بالنسبة لـ (ارمينيا) فان (المادة 88) تقول حرفيا:

(الاعتراف بان ارمينيا دولة حرة ومستقلة: recognises Armenia as a free and independent State)

2ـ ان حدود هذا (الحكم الذاتي الكردي) في داخل تركيا الحالية. حيث تم بصورة واضحة تماما تحديدها كالتالي: من الجنوب حدود العراق (الذي تسميه المعاهدة: بلاد النهرين: Mesopotamia) وسوريا. ومن الشمال ارمينيا ومن الشرق نهر الفرات، ومن الغرب ايران.[10]

(9) ـ عن معاهدة سيفر، من الغريب انه رغم كل هذا التهويل عن هذه المعاهدة، فانه حتى الآن، حسب علمنا، لم يتفضل احدهم بترجمتها الى العربية؟؟ وكأنما الأمر مقصود كي تستمر هذه الاكذوبة!! رغم انها منشورة في الانترنت بمختلف اللغات الاوربية. العنوان الانكليزي:

_ Treaty of Peace Between The Allied & Associated Powers and Turkey Signed at Sevres _ August 10, 1920

(10) ـ يبلغ الخبث بالكثير من الاعلام العربي وحتى ويكيبيديا العربية والاجنبية بانها تخدع القراء بالقول بأن: ((معاهدة سيفر، اقرت ضم الموصل الى مشروع دولة كردستان.)) وذلك بالخلط بصورة مخادعة بين نص المعاهدة الحقيقي مع نص تصريح (شريف باشا) العضو في (جمعية صعود كردستان) (Kürdistan Teali Ce-miyeti) القومية الكردية في ذلك الوقت. علما بأن المادة 3 قد حددت بصورة قطعية بأن حدود (بلاد النهرين) هي حدود شمال ولاية الموصل مع تركيا وشرقا مع فارس. فتقول حرفيا:

3. With Mesopotamia: Thence in a general easterly direction to a point to be chosen on the northern boundary of the vilayet of Mosul, a line to be fixed on the ground; thence eastwards to the point where it meets the frontier between 12Turkey and Persia,

خارطة معاهدة سيفر 1920 [11]

معاهدة سيفر 1920، والتي قرر فيها الحلفاء تقسيم الدولة العثمانية: من الغرب منحوا مناطق كثيرة الى اليونان.

اما من الشرق والجنوب عند حدود ايران والعراق وسوريا فكان التقسيم كالتالي:

- حدود سوريا تشمل مدن: (عورفا: نصيبين) و(عينتاب) و(الاسكندرونة) وهي حاليا ضمن تركيا.
- العراق يكون بحدوده الحالية مع زيادة جبلية محدودة محاذات ايران.
- تكوين دولة كردية حول مدينة(ديار بكر) على دجلة، ومفصولة عن تركيا بنهر الفرات ولا تشمل أي جزء من سوريا او العراق بل فقط ضمن تركيا الحالية.
- اعطاء كل شرق شمال تركيا الى دولة (ارمينيا) ويشمل حوالي (بحيرة فان) ومدن (ارضروم) و(طرابزون) على البحر الاسود.

علما بأن هذا التقسيم اعتمد على عاملين:

1- النسبة السكانية واللغة السائدة.

2- الحدود الطبيعية: جبال ونهر

ولهذا فأن مناطق التواجد الكردي في شمال العراق وسوريا بقيت ضمن البلدين لعدم وجود حدود طبيعية تساعدها على الانفصال.

يلتبه لخارطة سيفر: فانها متداولة في جميع اللغات، ابحث بالانكليزية:(Treaty of Sèvres map)

(11)- بالنسبة لخارطة سيفر، فانها متداولة في جميع اللغات في المواضيع التي تتناول المعاهدة. ابحث:(Treaty of Sèvres)

امبراطورية كردستان الكبرى، حسب مخيال القوميين الاكراد، ومساحتها اضعاف(كردستان معاهدة سيفر)، حيث تمتد من الخليج العربي حتى البحر المتوسط:

- في العراق تضم اضعاف الاقليم الكردي: كل محافظات الشمال والشرق مثل الموصل وكركوك وديالى والكوت.. الخ..
- كل المناطق السورية محاذات العراق وتركيا،
- كل جنوب وشرق تركيا مع اجزاء من دولة ارمينيا
- كل غرب ايران واذربيجان

الفترة ما بعد الحديثة: 2003، ونظرية الفوضى الخلاقة!

من الآن فصاعداً، لا تهدف الحروب إلى تحقيق النصر، بل هي قبل كل شيء إلى المعاقبة وزعزعة الاستقرار، والتشرذم، وإلغاء القيمة السياسية، والإذلال، في ظل حكومة عالمية تكنو ـ مصرفية!

المستشار السياسي الأمريكي اليهودي (جورج فريدمان: George Friedman)[12].

في 19 آذار ـ مارس 2003، اندلعت حرب الخليج الثالثة التي تم إعلانها من قبل (الرئيس بوش الابن). وفيها تم الاعلان لأول مرّة عن شعار (النظام العالمي الجديد) بعد انتهاء النظام العالمي السابق القائم على (القطبين: السوفيتي والرأسمالي)، ولا

(12) ـ مقولة فريدمان: ضمن البحث الكامل عن نظرية الفوضى الخلاقة:
ـ Le chaos créateur/ Jacques – Alexandre Mascotto/ erudit.org

نعلم هل هي صدفة أن يكون (العراق) (حجر الأساس) لهذا النظام القائم على (القطب الأمريكي الواحد)؟! كان الاجتياح الأمريكي 2003 (رصاصة الرحمة) التي أطلقها الجيش الغازي على (كيان العراق) الذي كان في رمقه الأخير، بعد سنوات طويلة من الحصار الوحشي المنظَّم.

الثورة العراقية الثانية!

كما حصل في الثورة الأولى (1917 ـ 1921) التي كانت فيها (بريطانيا) هي القابلة التي ساعدت على (ميلاد الكيان العراقي) المشوه طائفياً وقومياً، في هذه (الثورة الثانية) كانت (أمريكا) هي القابلة التي ساعدت على إنجاب (كيان عراقي جديد)، لكنه أيضاً وبدرجة أخطر يعاني من التشوه القومي ـ الطائفي!

بعد أن أزالوا (الدولة القومية ـ الطائفية) السابقة، ومعها دمروا الهرم الاجتماعي السابق وكذلك (الثقافة القومية الحداثية) المتحكمة في الدولة والمجتمع.

وكان من المؤمل والمعقول أن يحل محل هذا النظام القديم (نظام سياسي واجتماعي وطني حقيقي) تتمثل فيه جميع الطوائف والقوميات، ودعم (الثقافة الواقعية) النابعة من عقائد وميراث الشعب، بديلاً عن (الثقافة الحداثية القومية السطحية والشعاراتية) التي ظلت ولا زالت تلهث بدون جدوى، لتقليد النماذج الأوربية اليسارية والليبرالية.

لكن (نظرية الفوضى الخلاقة) تعارض من الأساس هذا الخيار الوطني والإنساني، فترى الأمريكان منذ البداية وقبل الغزو بعدة سنوات، خلقوا في الخارج (معارضة

عراقية) جمعوا فيها أسوأ ما في خلق الله من عملاء وقتلة وفاسدين: شيعة وأكراد وسنة ومسيحيين وتركمان وغيرهم. وكان الزعيمان الكرديان العنصريان (مسعود البرزاني) و(جلال الطلباني) هما المسؤولان الفعليان المكلفان أمريكياً ودولاريا بتنظيم ورشوة المعارضين العراقيين. وقد كان آخر مؤتمرات المعارضة: (مؤتمر لندن في 14 ـ 15 كانون الأول/ ديسمبر 2002) الذي اجتمعت فيه جميع الأحزاب والشخصيات: (الايرانية والخليجية واليسارية) التي دخلت مع جيش الاحتلال الأمريكي وقادت العراق، في سياسة مخططة لنشرالفساد والارهاب[13].

فبعد إسقاط (نظام البعث) والتدمير الكامل والرسمي للجيش والشرطة والدولة، تم تقسيم السلطة بين: (أحزاب إيران الشيعية الفاسدة)، و(الأحزاب الكردية العنصرية) وبصورة غير مباشرة مع (الجماعات الإرهابية السنيّة)، ثم أصدروا دستوراً تخريبياً تحت إشراف المستشار الأمريكي، اليهودي الأرثوذكسي (نوح فيلدمان Noah Feldman) شرعن التقسيم الطائفي والقومي العنصري. فتم الفصل العملي (للإقليم الكردي) بحيث يمنع فيه دخول العراقيين بدون فيزا، بينما هم يشاركون بقيادة الدولة ويحصلون على حوالي 17% من الميزانية مع بقاء ثروات الإقليم لهم. في نفس الوقت تمّ دفع (السنّة) إلى (تنظيمات الإرهاب) من خلال عزلهم وقمعهم وفتح الحدود بالتنسيق مع إيران، لدخول (إرهابيي القاعدة) من أفغانستان وعبورهم إيران إلى

(13) ـ لقد سبق مؤتمر لندن 2002، عدة مؤتمرات تحضيرية:
وقد حضرت الأحزاب التالية في مؤتمر لندن 2002:
المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ـ المؤتمر الوطني العراقي ـ الحزب الوطني الآشوري ـ الحزب الإسلامي العراقي ـ حركة الوفاق الوطني العراقي ـ حركة الديمقراطية العراقية ـ الاتحاد الوطني الكردستاني ـ الحزب الديمقراطي الكردستاني ـ منظمة العمل الإسلامي ـ الحركة الوطنية العراقية ـ الحركة الملكية الدستورية العراقية ـ الجبهة التركمانية العراقية ـ الاتحاد الإسلامي التركماني العراقي ـ حزب كردستان ـ الحزب الشيوعي الكردستاني العراقي ـ حزب الدعوة الإسلامية ـ حزب الوطن العراقي ـ الحزب الديموقراطي الاشتراكي الكردستاني ـ المجلس الأعلى للإنقاذ الوطني ـ الحركة الديمقراطية الآشورية.
بالإضافة لمستقلين وسياسيين منتمين لحركات وأحزاب سياسة أخرى. كما حضر النائب الكويتي محمد الصقر، وزلماي خليل زاده مبعوث الإدارة الأمريكية لدى المعارضة العراقية، وديفيد بيرس عن وزارتي الخارجية والدفاع الأمريكيتين، وممثلون عن جهاز الأمن القومي الأمريكي ووزارة الخارجية البريطانية، وممثلون عن سفارات فرنسا والصين وبلجيكا واليونان والدنمارك، ولم تشارك روسيا، وغابت الدول العربية باستثناء الكويت.
أقر المؤتمر في ختام أعماله لجنة سميت بلجنة المتابعة والتنسيق تكونت من 65 شخصية أضيف إليها في وقت لاحق عشرة آخرين.

العراق. ثم بعدها خلقوا لهم (تنظيم داعش) ومساعدته على احتلال الموصل عام 2014. وكانت هذه حجة مقصودة لعملاء إيران وجيش أمريكا، لمحق هذه المدينة المقاومة عن الأرض!

هكذا فإن الوعد الأمريكي الرسمي (بإسقاط الديكتاتورية وتحقيق الديمقراطية) تبين أنه بالحقيقة قائم على (نظرية الفوضى الخلاقة: THE POLITICS OF CHAOS THEORY)[14] الذي على أساسه تحول العراق إلى ساحة مفتوحة للحروب الأهلية والتفجيرات والمجازر الطائفية شيعية ـ سنيّة، وتصفيات عنصرية كردية، وفساد ملياري نهب الأخضر واليابس، وسرقة عائدات النفط وتقاسمها بين إيران وأمريكا. مع تخريب حقود ومنظم للبنية التحتية، ودفع الملايين من شباب العراق الى الهجرة. والنتيجة أن حال العراق من جميع النواحي قد تراجع إلى أسوأ مما كان قبل القرن العشرين!

ويمكن تسجيل الأحداث التالية الخاصة بهذه الفترة الجديدة:

---

(14) ـ إن اعتماد نظرية (الفوضى الخلاقة) أعلنت عنه رسمياً الإدارة الأمريكية في خطاب وزيرة الخارجية (كوندوليزا رايس) عن (الشرق الأوسط الجديد)، في مؤتمر آيباك السنوي في 2005:
طالع مقال بالإنكليزي:

_ The 'New Middle East' and its 'constructive chaos/ World Americas/10.8.2013

لكن المصطلح قديم وله جذور مختلفة.ويعتقد أنه وجد في أدبيات الماسونية القديمة. وأن الأمريكي (ديڤ فلمنگ) من كنيسة المجتمع المسيحي بمدينة پنسلڤانيا قد قال:
إن الإنجيل يؤكد لنا أن الكون خلق من فوضى، وأن الرب قد اختار الفوضى ليخلق منها الكون، وعلى الرغم من عدم معرفتنا لكيفية هذا الأمر إلا أننا متيقنون أن الفوضى كانت خطوة مهمة في عملية الخلق.
وهذا يعني الهدم، ومن ثم البناء، أي إشاعة الفوضى، وتدمير كل ما هو قائم، ومن ثم إعادة البناء حسب المخطط الذي يخدم مصالح القوى المتنفذة. كذلك استخدمه الأمريكي اليميني صامويل هنتنجتون ـ Sam-uel P. Huntington صاحب نظرية صراع الحضارات. وقد تلقفته مراكز البحوث والدراسات اليمينية واليهودية، وصار يعني باختصار: أنّه عندما يصل المجتمع إلى أقصى درجات الفوضى المتمثلة في العنف الهائل وإراقة الدماء، وإشاعة أكبر قدر ممكن من الخوف لدى الجماهير، فإنّه يُصبح من الممكن بناؤه من جديد بهوية جديدة تخدم مصالح الجميع.
طالع:

America's Failed Approach to Chaos Theory/ The Complexity Crisis in US Strategy/ Anthony H. Cordesman/ Arleigh A. Burke Chair in Strategy

ـ موقع المعرفة: الفوضى الخلاقة.
ـ الموسوعة السياسة: نظرية الفوضى الخلاّقة ـ Creative Chaos Theory.
ـ كيف يجري تنفيذ نظرية الفوضى الخلاقة، خالد عبد القادر أحمد، دنيا الوطن، 2011 ـ 2 ـ 15.
ـ الفوضى الخلاقة ثنائية الأنا والآخر، سعيد الحسين عبدولي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 11، تونس.

ـ عام 2003 بداية حرب الخليج الثالثة في شهر آذار، اجتياح الجيش الأمريكي واحتلال بغداد في التاسع من نيسان، وقد رافقت هذا الاجتياح عمليات نهب وتخريب للمتحف العراقي وسرقة آلاف الآثار.

ـ قيام الإدارة المدنية المؤقتة برئاسة (غي غارنر) والذي دخل بغداد في (21 نيسان)، ومن ثم تعيين (بول بريمر) في (6 آيار) رئيساً للإدارة المدنية وللإشراف على إعادة تعمير العراق، والذي أصدر مرسوماً بحل (حزب البعث) وإقصاء الآلاف من أعضاء الحزب من الدولة أي ما يسمى بسياسة (اجتثاث البعث)، ودعمت بقرار حل الجيش العراقي. في نفس العام تم تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة في (28 حزيران) لتحل محل سلطة الائتلاف الموحدة، ومجلس الحكم في العراق، وإدارة شؤون البلاد تحت إشراف الولايات المتحدة. كذلك في نفس العام في 13 كانون الأول القوات الأمريكية ألقت القبض على الرئيس السابق (صدام حسين).

ـ عام 2005: في 30 كانون الثاني، إجراء أول انتخابات (حرة!) مع مقاطعة الجهات السنية، وفي 3 آيار تم تشكيل أول حكومة عراقية منتخبة (ديمقراطياً!)، يسيطر عليها الشيعة، وفي 15 تشرين الأول وافق الناخبون على دستور جديد بتأييد قوي من جانب الأحزاب الشيعية والكردية، ومعارضة غالبية الأطراف السنية، وفي 15 كانون الأول تم انتخاب برلمان جديد، مع فوز الأحزاب الشيعية بالعدد الأكبر من المقاعد.

ـ بعد محاكمات تلفزيونية طويلة أثارت الأحقاد الطائفية، تم إعدام (صدام حسين) في 30/ 12/ 2006 وبعد توترات وتفجيرات وحوادث مأساوية عديدة، اندلعت الحرب الطائفية في 2006 إثر تفجير ضريح الإمامين (علي الهادي والحسن العسكري)[15] في سامراء، وتصاعد المواجهات مع الميليشيات والجماعات الإرهابية التابعة للقاعدة، وكلفت هذه الحرب مئات الآلاف من الضحايا (القتلى والجرحى والمشردين).

ـ آيار عام 2006 بعد انتخابات مزيفة، استلام (نوري المالكي) رئاسة الوزراء باسم حزب الدعوة، التابع لايران.

(15) ـ كان من الواضح ان تفجير (الضريح) كان من قبل القوتين المتحكمتين بالامن (الجيش الامريكي وميليشيات ايران)، من اجل تفجير الحرب الاهلية.

ـ عام 2007 تصاعد حدة الانفجارات والاغتيالات في المناطق الشيعية من قبل تنظيم القاعدة الاسلامي المتطرف. ومعهم منظمة (بلاك ووتر) الامريكية للحماية والاغتيال.

ـ آيار عام 2010 بعد انتخابات شكلية (نوري المالكي) يستمر برئاسة الوزراء.

ـ في شهر كانون الأول 2011 تم اكتمال انسحاب القوات الأمريكية من العراق، وقد تركز الوجود والتأثير الأمريكيين في (السفارة الأمريكية) الجبارة الضخمة في (بغداد) التي تضم ما يقرب من 15 إلى 16 ألف موظف.

ـ نيسان 2013: القوات العراقية تقتحم الساحة التي يعتصم فيها المتظاهرون السنة المناوئون للحكومة في مدينة الحويجة بمحافظة كركوك، الأمر الذي خلف أكثر من 50 قتيلا وأدى إلى حالة من الغضب واشتباكات في بلدات أخرى.

ـ تموز 2013: فرار أكثر من 500 سجين على الأقل، معظمهم أعضاء بارزون في تنظيم القاعدة، من سجني التاجي وأبوغريب في عمليتين نوعيتين. وتم الامر بتواطؤ من حكومة المالكي مع الامريكان والايرانيين، من اجل تأسيس (تنظيم داعش: دولة العراق والشام) الاسلامية الارهابية.

ـ كانون الاول 2013: الأمم المتحدة تعلن انه في نهاية هذا العام بلغ عدد القتلى 7157 بزيادة كبيرة عن السنة السابقة عندما كان عدد القتلى 3238.

ـ حزيران 2014 احتلال (الموصل) من قبل تنظيم داعش الارهابي، بتواطؤ علني من قبل القوات العراقية تحت سلطة الرئيس المالكي، وكذلك (ميليشيات البيشمركة) البرزانية الكردية. ثم تم ايضا احتلال كركوك وتكريت وديالى والانبار. ادى هذا الى تخريب آثار ومعالم الموصل الآشورية والاسلامية، ومقتل الآلاف من سكان المدينة وتدميرها بكاملها.

ـ يوم 12 حزيران 2014م، قام تنظيم داعش بالسيطرة على (قاعدة سبايكر العسكرية) في (تكريت) وذبح جميع من فيها، بين: (2000 ـ 2200) عسكري. دون اية محاسبة للرئيس المالكي!

ـ 13 حزيران من عام 2014 صدور (فتوى الجهاد الكفائي) من قبل المرجع السيستاني، وتطوع الآلاف من شباب الشيعة في (ميليشيات الحشد الشعبي) لمقاتلة داعش. دون أي نقد ولا محاكمة للمجرم الحقيقي (الرئيس المالكي) الذي سلّم الموصل الى داعش. وكذلك عدم التفكير بجعل التطوع في الجيش العراقي الرسمي، بدلا من تكوين ميليشيات مستقلة تبين ان اغلبها تابعة لايران.

ـ ايلول 2014 اختيار (حيدر العبادي) احد قادة حزب الدعوة، بديلا عن (المالكي). وقد اشرف على عمليات تحرير المناطق المحتلة من داعش.

ـ ايلول 2017 الانتهاء من تحرير منطقة (الحويجة) وبهذا انتهت عمليات تحرير جميع المناطق المحتلة من داعش: الموصل تكريت الانبار وكركوك وديالى.

ـ ايلول ـ كانون الاول 2017: عملية فرض الامن في ما يسمى: (المناطق المتنازع عليها) التي تدعي بها الميليشيات البرزانية. فما إن انتهت عملية تحرير الحويجة حصلت مواجهات خفيفة بين الجيش العراقي وميليشيات البيشمركة التي تريد السيطرة على كركوك والاستحواذ على نفطها لخدمة مشروعهم الانفصالي. اثناء ذلك تم استكمال تحرير محافظة الانبار ومنطقة الجزيرة من سيطرة داعش.

ـ بين ايلول وتشرين الاول 2017 نظمت حكومة البرزاني استفتاء انفصاليا في الاقليم الكردي العراقي، انتهى بالفشل بسبب الضغوط الدولية وموقف (حكومة العبادي) الوطني الحازم، والمدعوم بموقف شعبي عراقي وطني ضد هذه المحاولة الانفصالية. وقد اعترضت الكثير من القوى الوطنية الكردية على هذا الاستفتاء وأكدت تزويره من قبل جماعة البرزاني.[16]

ـ تشرين الثاني 2019 اندلاع الانتفاضة التشرينية من قبل الشباب الوطني في المناطق الشيعية ضد الاحزاب والميليشيات الشيعية الايرانية المسيطرة والفاسدة. وقد كلفت مئات الشهداء والمخطوفين. لكن (لعبة مرض كورونا الدولية) قد تمكنت

(16) ـ دعت حركة «لا للاستفتاء» الكردية، بزعامة (رابون معروف: رئيس كتلة الجيل الجديد في برلمان الاقليم) لرفض النتيجة، وذلك بسبب وجود عمليات تزوير في التصويت:
ـ حركة «لا للاستفتاء» تدعو الى رفض نتائج استفتاء كردستان: 29 ايلول، 2017: السومرية نيوز.

من انهاء هذه الانتفاضة الوطنية الكبرى، مثلما انهت الكثير من الانتفاضات في العالم كـ(انتفاضة ذوي السترات الصفر في فرنسا)!

***

المجتمع العراقي وتنوعه القومي

تركماني، يزيدي، صابئي، شيعي، سنّي، شبكي، مسيحي، كردي

إن المجتمع العراقي[17] يعتبر من بين أكثر المجتمعات تنوعاً من النواحي العرقية (القومية) والدينية والمذهبية، والسبب الأساسي لهذا التنوع، كما ذكرنا في الفصول السابقة، يعود إلى موقعه المركزي في وسط الشرق الأوسط حيث تحيطه من جميع النواحي أكبر المراكز الحضارية والقومية والدينية والمذهبية المختلفة، بينها: إيران والأناضول والجزيرة العربية والشام. وبسبب الطبيعة السهلية للعراق واحتوائه على أخصب نهرين، فإنه أصبح أشبه بالواحة الخصبة ومحطة استقبال لهذه الشعوب المتنوعة التي تحيط به من كل النواحي، والتي ما كفَّت عن الهجرة إليه سلماً وحرباً.

(17)ـ هنالك بلدان امتزج في أسمائها المعنيان (القومي) و(الوطني). مثل تسمية (روسيا)، فهنالك (قومية روسية ناطقة بلغة أم هي الروسية)، ولكن في (بلاد روسيا) هنالك العديد من القوميات، التي لا يصح أن تقول عن نفسها (روسية). نفس المشكلة مع تسمية (تركيا)، كذلك مع التسمية القديمة لإيران (بلاد فارس) لأن (الفرس) حوالي نصف سكان إيران، ونصفهم قوميات ترفض صفة (فارسية)، ومن حسن حظ (العراق) أن تسميته غير مرتبطة باسم (قومية) معينة، وبالتالي فإن (الكردي) مثلا يمكنه أن يقول: أنا عراقي كردي..

وهذا التنوع العجيب في أصول العراقيين يكمن فيه سر العبقرية العراقية والقدرة الفائقة على الإبداع الحضاري، وأيضاً يكمن فيه سر ضعف العراقيين وتوتر تاريخهم وصعوبة توحدهم.

مشكلة مفهوم: (القومية)

من دلائل خطورة (مفهوم القومية) في تاريخ العراق الحديث، انه على اساسه وباسمه تشكلت احزاب وصراعات وخيانات وحروب وانقسامات ومشاريع امبراطوريات: (عربية وكردية وآشورية ووو)، وتهديدات بالانفصال والتشرذم. لهذا فانه يستحق بعض المراجعة والتوضيح. بالحقيقة ان (مفهوم القومية) يعود الى اواخر القرن 19 حيث نشأ بالضد من مفهوم: (الامة العثمانية التي تجمع مختلف الطوائف والاقوام). وقد انتشر بدفع اوربي وباسم الحداثة، حيث نشأت (التنظيمات القومية) التركية واليونانية والارمنية والعربية والكردية، التي سعت جاهدة وبدعم اوربي من اجل الانفصال وتحطيم الدولة العثمانية. وفعلا نجحت وتم تفتيت هذه الامبراطورية مع الحرب العالمية الاولى والغزو الاستعماري الاوربي. [18]

وقد لعب هذا (التيار القومي الحداثي) دوراً قيادياً في التاريخ العراقي الحديث، منذ (الثورة العربية) والنظام الملكي، ولكن بنسخته المخففة: (القومية شبه الليبرالية وشبه

(18) ـ بدأت (فكرة القومية) تنتشر بين شعوب الإمبراطورية العثمانية على حساب (فكرة الرابطة الإسلامية العثمانية)، منذ القرن التاسع عشر بدفع من القوى الأوربية والحركات التحديثية والماسونية، التي قررت تمزيق هذه الإمبراطورية إلى قوميات متناحرة، وقد بدأت الحركات القومية الانفصالية في بلاد رومانيا وهنغاريا واليونان وعموم البلقان، كذلك تغلغل الاستعمار الفرنسي في بلدان المغرب، وانفصال مصر (محمد علي باشا).
وكان رد فعل النخبة التركية أن تبنت الفكرة القومية التركية (حركة تركيا الفتاة: عام 1889)، والتخلي عن (الرابطة الإسلامية العثمانية). في ظل هذه التطورات الفكرية السياسية بدأ ينمو (الفكر القومي العروبي) بين النخب الشامية والعراقية، وقد تنامى خصوصاً بعد عام 1908 وبدء برنامج التتريك الذي فرضته حكومة (جمعية الاتحاد والترقي).
في عام 1913 اجتمع بعض القوميين العرب في باريس في (المؤتمر العربي الأول)، وأصدروا بياناً بمطالب للحكم الذاتي داخل الدولة العثمانية.
من أولى الكتب التي أرَّخت تاريخ الحركة القومية العربية:
ـ يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية. جورج أنطونيوس (وهو مؤرخ لبناني ـ مصري ـ فلسطيني).
وكان قد صدر عام 1941 باللغة الإنكليزية: The arab awakening.
ـ كذلك طالع كتاب: القومية العربية في القرن التاسع عشر، توفيق برو.

الوطنية). ثم بعد الحرب العالمية الثانية، انبثقت (الحركات القومية الجذرية الرافضة لليبرالية وللوطنية) أي تبني الثورية اليسارية والاشتراكية والرفض الصريح لليبرالية. وخصوصا تكفير (الوطنية) واعتبارها: (ميولاً قطرية مناقضة للوحدة القومية الكبرى، عربية او كردية)! [19] وتمكن هذا التيار بالاعتماد على نخبه العسكرية والحزبية من قيادة العراق الجمهوري منذ 1958 حتى عام 2003، ونهاية البعث وعموم التيار القومي العروبي [20].

ما هي: (القومية) وماهي: (الامة)؟

(ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، فإنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي). حديث شريف [21].

(الأنساب: علم لا ينفع وجهالة لا تضر). حديث شريف [22].

لقد أشاع علماء أوربا منذ القرن التاسع عشر تفسيراً خاطئاً لمفهوم (القومية أو العرق) باعتبار هذه الجماعة التي تتشارك باللغة والثقافة، من المحتم أنها تنتمي لأصل (سلالي دمائي واحد) وأسلاف مشتركين! وعلى هذا الأساس تم اعتبار جميع يهود العالم، رغم استيطانهم في بلدانهم منذ أكثر من ألفي عام، وحتمية امتزاجهم بالشعوب التي يتعايشون معها، إلاّ أنهم رغم ذلك ـ حسب الصهيونية ـ بقوا بـ (عرق يهودي

(19) ـ نحن استخدمنا في كتابنا هذا مفهوم بدلا من: (وطني) مفهوم: (بلاد: بلادي) أي: الانتماء الى بلد بارضه وشعبه وتاريخه، وليس الانتماء الى (عرق وقومية واصول خرافية) عابرة للحدود ومحتقرة للبلد. وقد استوحيناها من التراث العربي، من كلمة (بلداني) وهي أقرب إلى معنى (جغرافي): (كتاب بلداني) أي (وصف البلدان).

اما مفهوم:(وطني) فإننا ابقينا استعمالها بالمعنى(العقائدي السياسي). إن أوضح مثال متداول بيننا، مشكلة التمييز بين مفهوم: (مسلم) بمعنى (دين حيادي طبيعي)، مفهوم:(اسلامي) بمعنى:(الحركات السياسية العقائدية) التي تعلن اعتمادها على الإسلام. لكن المشكلة أننا تعودنا القول: (الفتح الإسلامي، الدين الإسلامي) ويصعب القول: (الدين المسلم، والفتح المسلم). لهذا قام البعض باستخدام: (إسلامي) بالمعنى الحيادي، و(إسلاموي) بالمعنى السياسي العقائدي..

(20) ـ إن التيار القومي رغم نهاية حكم البعث، إلاّ أنه لازال مؤثراً إلى حد كبيرٍ في الناحية الثقافية الموروثة من التربية البعثية. أما من الناحية السياسية، فإن التيار القومي لا زال مسيطراً على الأكراد من خلال تحكمه بإدارة الإقليم، وحماسته بنشر ثقافة الحقد ضد كل ما هو عراقي وعربي، وهنالك أيضاً التنظيمات القومية بين التركمان التي تميل عموماً إلى الواقعية الوطنية. أما بين (المسيحيين السريان) رغم واقعية ووطنية غالبيتهم، إلاّ أنه لا زال نشطاً بينهم (التيار القومي الآشوري) الذي يبث دون هوادة ثقافة العنصرية الحقودة ضد العرب والمسلمين (الغزاة)!

(21) ـ حديث شريف متداول، رواه (ابن عساكر).

(22) ـ حديث شريف متداول، ومن رواته: (ابن عبد البر) في التمهيد.

عبراني نقي) من نسل (يعقوب وإسحاق)! وأن (المجموعات اللغوية: الناطقة بالسامية، أو الآرية، أو التركية) لا بد أن ينحدر كل منها من سلف واحد! وإن (الشعوب الناطقة بالعربية) كلها تنحدر من أجداد خياليين: (قحطان وعدنان ويعرب)!

أخيراً أتت البحوث الجينية في السنوات الأخيرة لتظهر بصورة حاسمة خرافة هذه الفكرة، وأن رابطة اللغة والثقافة تتكون عبر العديد من العوامل، منها الهجرات والاختلاطات والغزوات والاحتلالات واغتصاب نساء الجماعات المهزومة، وجلب الأسرى والعبيد، وغيرها من العوامل. يكفينا ملاحظة كيف أن اللغة الأسبانية منتشرة بين شعوب أمريكا اللاتينية، بينما المنحدرون من الأسبان لا يشكلون حتى ربع السكان، والغالبية من الهنود الحمر والزنوج والمختلطين.

كذلك بينت هذه البحوث أن الشعوب العربية التي تتكلم العربية، تنتمي لمختلف الأصول: السومرية، الأكدية، الآرامية في الشام والعراق، والحامية الفرعونية القبطية في مصر، والحامية البربرية في بلدان المغرب، بل حتى شعوب الجزيرة العربية، حوالي نصف النسبة تتكون من أصول غير سامية وعربية[23].

[24]: دون الدخول بشروحات نظرية معقدة، فإننا نميز بين مفهومين مختلفين: (القومية والامة) قد تم خلطهما بصورة خاطئة نتيجة الترجمات العديدة والمشوهة عن اللغات الاوربية:

مفهوم القومية: بمعنى الانتماء الى (قوم: Ethnic) أي جماعة تشترك بروابط ثقافية ولغوية وعاطفية وتاريخية واسم جامع، مع اعتقاد شعبي خرافي بأنهم ينحدرون من اصل اقوامي قديم واحد.[25] ان (المجموعة القومية) يمكن ان تكون في بلد واحد او منتشرة بين عدة بلدان، كما حال العرب والاكراد والاتراك والالمان والفرنسيين. ولكن من المهم جدا جدا التاكيد على ان كل (قومية) في كل (بلد) لها خصوصيتها الوطنية وثقافتها وتاريخها ومصالحها، ولا يصح ابدا اعتبارها: (قومية واحدة او امة واحدة)، بل (قوميات) مختلفة تشترك بروابط عديدة. فيصح الحديث عن: (قوميات عربية) مختلفة، عراقية وسورية ويمنية الخ.. و (قوميات كردية) مختلفة، عراقية وايرانية

(23) ـ عن الأصول الجينية، راجع دراستنا المفصلة في القسم الأول من كتابنا هذا: (جينات الشعب العراقي).
(24) ـ عن قوميات الشعب العراقي، طالع كتابنا: (موسوعة اللغات العراقية) الصادر عام 2012.
(25) ـ حول خرافية الاصل الاقوامي المشترك، راجع دراستنا عن الجينات في القسم الاول من كتابنا هذا.

وتركية وسورية..وهكذا دواليك.. وبهذا التمييز القاطع، نعترف ونحترم:(الانتماء الاقوامي القومي)، مع: (الانتماء البلادي الوطني)، والغاء التناقض المفتعل بينهما الذي صنعه(القوميون العروبيون والكرديون والطورانيون).

مفهوم الامة Nation: باختصار شديد انها تشترط توفر العوامل الثلاثة التالية: (الشعب) و (الوطن) و (الدولة). أي ان (الامة) يمكن ان تتكون من قوميات وطوائف ولغات مختلفة. ان هذا التنوع الاقوامي والطائفي الداخلي موجود في الغالبية الساحقة من (امم: بلدان) العالم، مثال: (الامة الامريكية، الروسية، السويسرية، الافغانية، الايرانية، التركية، الهندية، البريطانية.. الخ). إذن لا توجد:(امة عربية او كردية او اسلامية) بدون هذه الشروط الثلاثة، ويمكن التعامل معها كتعبيرات مجازية وعاطفية وليست واقعية. فـ(المسلم) مهما تمسك بإسلامه لا يمكنه ان يدخل دولة مسلمة بدون فيزة وشروط اقامة.

قوميات الأمة العراقية

القومية العربية: وهم الناطقون بالعربية ويشكلون بحدود 75% من العراقيين، وهم بغالبيتهم منحدرون من سكان العراق الأصليين منذ سحيق التاريخ، وقد أصبحوا عرباً بعد اعتناقهم الإسلام بعد الفتح العربي الإسلامي، وقد انتمت إلى (العرب) الكثير من الجماعات غير العراقية وغير العربية التي استقرت في العراق خلال القرون الطويلة مثل العبيد الأفارقة والجواري والمماليك القفقاس والأوربيين والكثير من المغول والأتراك والإيرانيين والهنود وغيرهم. إن مشكلة (عرب العراق) الكبرى والمستعصية والتاريخية، تتمثل بضعفهم المتفاقم، رغم أنهم يشكّلون غالبية الشعب العراقي، إلاّ أنهم منقسمون طائفياً (شيعة ـ سنة)، كما سنبين.

القومية الكردية: وهم أكثر من 15% من العراقيين ويقطن غالبيتهم في المحافظات الكردية الثلاث: السليمانية وأربيل ودهوك، بالإضافة إلى ديالى وبغداد والموصل وأنحاء العراق، وهم جميعهم مسلمون بغالبية كبيرة سنة شافعية، وينقسمون عموماً في العراق إلى مجموعة ناطقة باللغة السورانية في السليمانية، وتنتشر بينهم الطريقة القادرية، ثم المجموعة الناطقة باللغة البهدنانية وتنتشر بينهم الطريقة النقشبندية،

في أربيل ودهوك، وهنالك أيضاً أقلية شيعية ناطقة باللغة الخانقينية (أو القصر شيرينية) في خانقين، بالإضافة إلى أقلية من الطائفية الكاكائية (التي تؤله الإمام عليّ) في كركوك.

إن الأكراد هم السكان الأصليون للمنطقة الجبلية الحدودية المطلة على العراق وتفصله عن إيران وتركيا، وقد أصبحت لغتهم آرية بسبب تأثير العشائر الآرية التي سيطرت عليهم منذ ما قبل الميلاد، وبما أن هذه المنطقة الجبلية مطلة على سهول النهرين وليس هنالك أمامها أي منفذ بحري أو سهلي غير النهرين، فإنهم ارتبطوا طيلة التاريخ ببلاد النهرين وأهلها وحضارتها، وقد غذَّت هجراتهم الدائمة سكان العراق، بحيث إن الكثير من العراقيين الحاليين بمن فيهم العرب لابد أن تكون لهم أصول كردية منسية. نفس الحال فإن جبال الأكراد قد تلقت الكثير من الهجرات (السامية والعربية) من بلاد النهرين، ولكن مشكلة الأكراد في العصر الحديث تتمثل في الميول القومية العنصرية الانفصالية التي شجعتها وبرَّرتها الميول القومية العروبية البعثية التي حاولت أن تعزلهم عن عراقيتهم.

القومية التركمانية: وهم بحدود 5% ويقطنون خصوصاً في كركوك، كذلك في تكريت وتلعفر وديالى والموصل وبغداد، وهم كما بيّنا سابقاً من الهجرات التركية القادمة من آسيا الوسطى التي قدمت إلى العراق منذ الفتح العربي الإسلامي في القرن السابع وحتى الفترة العثمانية، بل هنالك بعض الأتراك من استقر في العراق قبل الفتح الإسلامي حيث إن الكثير من أفراد الجيش الساساني الإيراني في العراق كانوا من الأتراك الذين استعربوا، وعانى التركمان في العهد الجمهوري وخصوصاً في كركوك من قمع القوى اليسارية والكردية التي اتهمتهم بالطورانية.

في السبعينات من القرن الماضي، عانوا من حملات البعث لتعريب مناطقهم، ثم إبتداء من عام 2003 يعانون من حملات التكريد ومحاولات الاستيلاء على كركوك من قبل العنصريين الأكراد، وينقسم التركمان مناصفة بين الشيعة والسنة، وينتشرون خصوصاً في خط المناطق الشمالية المرتفعة المتوسطة بين مناطق الأكراد الجبلية وسهول باقي العراق.

القوميات والفئات الأقل عدداً

هنالك قوميات عراقية عديدة من الصعب تحديد نسبتها بسبب هجرتها المستمرة وغياب الإحصائيات الحديثة والدقيقة، ولكن في كل الأحوال فإن نسبة أي منها لا تزيد على 5%، وهي:

القومية السريانية: وهم قومية دين ولغة، ويطلق عليهم أيضاً الكلدان أو (الكلدو آشور)، وهم جميعاً مسيحيون ويتكلمون بلهجات سريانية، ويقطن غالبيتهم في محافظة نينوى بالإضافة إلى أربيل وبغداد وغيرها، وهم من بقايا سكان العراق ما قبل الفتح الإسلامي الذين لم يدخلوا الإسلام ولم يستعربوا، وبسبب عمليات القمع الديني وكذلك ضغوطات ومذابح العشائر الكردية، فإنهم منذ أواسط القرن العشرين أخذوا بالهجرة إلى أمريكا التي تنفذ مخططاً استعمارياً بإخلاء المنطقة من غير المسلمين، لهذا فقد خلت الكثير من مناطقهم الأصلية في أربيل خصوصاً لتصبح كردية، وقد لعب السريان أدواراً حضارية مهمة في تاريخ العراق العباسي والعثماني والحديث.

القومية الفيلية: وهم رغم المد القومي الكردي بينهم، إلاّ أنهم فعلياً وواقعياً وثقافياً وحتى عرقياً ينتمون إلى (القومية العربية) وإلى عموم الشعب العراقي؛ لأنهم بكل بساطة يعيشون منذ قرون وقرون وسط إخوتهم العرب ويشاركونهم المذهب الشيعي واللغة العربية والتزاوج والعيش المشترك. يقطن غالبيتهم في بغداد والكوت وباقي مناطق الجنوب، وهم يعتبرون من سكان العراق الأصليين ويقطنون تاريخياً في المناطق الحدودية في السهل العراقي (حلوان) التابع حالياً لإيران؛ لهذا فإنهم اعتبروا مهاجرين إيرانيين، وقد عانوا كثيراً من ظلم السلطات العراقية العنصرية بسبب شيعيتهم خصوصاً وميولهم اليسارية عموماً بالإضافة إلى تهمة الإيرانية والكردية، وقد برزت منهم شخصيات مهمة في العصر الحديث خدمت الحياة العراقية في كل نواحيها.

القومية اليزيدية: وهم قومية دين وثقافة خاصة، وهم أتباع ديانة مزيجة من التصوف الإسلامي وبقايا ديانات العراق السابقة للإسلام: (عبادة النجوم والمانوية والمسيحية)، ويقطنون جميعاً في محافظة نينوى وخصوصاً في سنجار. لغتهم قريبة للكردية الكرمانجية، ولكنهم يعتبرون أنفسهم قومية خاصة من أصول عراقية مختلفة

(كردية وعربية وسريانية وتركمانية) تجمعهم العقيدة اليزيدية والحياة المشتركة، وقد عانوا كثيراً في القرن 19 من مذابح الأغوات الأكراد، ثم في العصر الحديث عانوا من ضغوطات عمليات التعريب البعثية، وبعد عام 2003 يعانون من ضغوطات عمليات التكريد الإجباري.

القومية الشبكية: وهم قومية عرق ولغة خاصة، جميعهم مسلمون بغالبية شيعية ويقطنون في سهل نينوى. لغتهم مزيجة من التركمانية والكردية والعربية، وقد عانوا أيضاً من سياسة التعريب ثم سياسة التكريد، بالإضافة إلى القمع الطائفي بسبب شيعيتهم.

القومية الصابئية (المندائية): وهم قومية دين ولغة، أتباع النبي يحيى (يوحنا المعمدان) من سكان جنوب العراق الأصليين الذين احتفظوا بديانتهم القديمة القائمة على الروحانية والزهد العرفاني، وجميعهم مستعربون مع احتفاظهم بلغتهم الأصلية (المندائية) المتفرعة من الآرامية، كلغة دينية طقسية، وعرف عن الصابئة تخصصهم بالإنتاج الحرفي وصناعة الذهب في قرى جنوب العراق ثم في مدنه، وفي العصر الحديث برزت شخصيات صابئية مهمة في مجالات السياسة والإبداع.

السود: وهم رغم تمايزهم بالشكل والأصول الأفريقية وبعض التقاليد الخاصة بهم، إلاّ أنه لا يمكن اعتبارهم قومية خاصة، بل جزءاً من العرب، من جميع النواحي بما فيها التزاوج والتمازج الاقوامي. جميعهم مسلمون ومستعربون. يقطنون عموماً في جنوب العراق وخصوصاً في البصرة، وهم من بقايا الزنوج الذين تم جلبهم دائماً منذ قرون طويلة كعبيد وعمال مزارع، واشتهروا بانتفاضتهم في العصر العباسي (ثورة الزنج). طبعاً هم الآن أحرار ويساهمون بالحياة العراقية، رغم بعض العنصرية الشكلية.

القومية الأرمنية: وهم جميعهم مسيحيون ولغتهم (الأرمنية). هاجروا منذ أكثر من قرن من المناطق الأرمنية في جنوب تركيا، بعد المذابح الشهيرة التي قام بها الأغوات الأكراد (الفرق الحميدية)، ويقطن غالبيتهم في بغداد وكذلك في الموصل والبصرة، ويشتهرون بمزاولة الحرف التقنية وكذلك برزوا في مجالات إبداعية كثيرة.

اليهود: رغم انتهاء وجودهم في العراق منذ تهجيرهم إلى إسرائيل في الخمسينات، إلاّ أنهم يستحقون الذكر لأهمية وجودهم التاريخي ودورهم المتميز حتى أواسط القرن العشرين. إن اليهود عاشوا في العراق خلال أكثر من 2500 عام.

بل إن اليهودية الحقيقية بكتبها المقدسة قد نشأت وكتبت في العراق، وقد ظل اليهود يعتبرون أنفسهم عراقيين وساهموا بصورة فعّالة في الحياة العراقية طيلة تاريخهم، لكن انبثاق إسرائيل قد حطم كل هذا البناء العريق.

***

الثورة الثقافية!

كما ذكرنا، فان (الثورة) لا تعني بالضرورة (التقدم نحو الافضل)، بل ربما (التقدم نحو الأسوأ)، وهذا ينطبق على: الدولة والمجتمع والثقافة والتدين. ان الحالة الثقافية

في أي مجتمع، هي انعكاس طبيعي للحالة العامة في الوطن، ولا يمكن فصل حال المثقفين عن المتغيرات الاجتماعية والمادية والسياسية السائدة. كما وضَّحنا بداية الفصل أن النهضة الحديثة في العراق، كما في العالمين العربي والإسلامي، ظلت تتمحور حول كلمة (الحداثة)، أي التخلص من (القديم: التقليدي الشرقي الإسلامي) ليحلّ محله (الحديث: التقدمي الأوربي الاشتراكي أو الليبرالي)!!

وقد حصل نوع من التهور والتطرف في عملية (التحديث) هذه بحيث أُريدَ بها التخلص من تراث وثقافة قرون بأكملها خلال بضع سنوات! وكان هذا النموذج التحديثي المتطرف بالنسبة للنخب العراقية (ليبرالية ويسارية) يتمثل بتجربة (كمال أتاتورك) في تركيا التي بدأت في نهاية العشرينات. كذلك بالنموذج الشيوعي السوفيتي في روسيا والبلدان الإسلامية التابعة لها، بالإضافة إلى النموذج الأساسي المتمثل بالنهضة الأوربية.

رواد النهضة الحديثة

يمكن تسجيل بعض الأسماء المتميزة المعروفة التي ساهمت بالتأسيس لهذه النهضة الحداثية بكل محاسنها وعيوبها:

ـ العلامة اللغوي أنستاس ماري الكرملي (1866 ـ 1947)

ولد في بغداد من أب لبناني وأم عراقية. هو رجل دين مسيحي، ولغوي وضع كتباً مهمة وأبحاثاً جديدة عن اللغة العربية، وساهم في عملية التعريب، وأصدر مجلتين وجريدة. ترك الكرملي عدداً هائلاً من الكتب لا يزال معظمه مخطوطاً لم ير النور، وبالإضافة إلى ذلك خلَّفَ ما يزيد على أكثر من 1300 مقالة تمثل جزءاً كبيراً من إنتاجه.

حظي الكرملي بتقدير كثير من الهيئات والمجامع العلمية واللغوية، فانتخب عضواً في مجمع المشرقيات الألماني سنة 1329هـ/ 1911م والمجمع العلمي العربي في دمشق سنة 1339هـ/ 1920م واختير ضمن أول عشرين عالماً ولغوياً من مصر وأوربا والعالم العربي يدخلون مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1351هـ ـ 1932م.

ـ رائد الصحافة روفائيل بطي (1901 ـ 1956)

أديب وصحافي عراقي ولد في الموصل لعائلة مسيحية أرثوذكسية عراقية. يعتبر مؤسساً للصحافة العراقية الحديثة، حيث عمل رئيس تحرير ومؤسساً لعدة صحف ومجلات عراقية مهمة. له العديد من المؤلفات منها سحر الشعر والأدب العصري في العراق العربي، وكتاب الصحافة في العراق والدراسات في الأدب العراقي خصوصاً. انتخب نائباً عن البصرة ست دورات ثم انتخب عميداً للصحفيين. أصبح وزيراً للدولة مرتين وبعد الوزارة فقد شعبيته ولم يستطع العودة للبرلمان.

ـ الأديب والباحث محمد مهدي البصير (1895 ـ 1974)

ولد في الحلة وهو أديب وباحث وسياسي. من مؤسسي حزب حرس الاستقلال في العراق عام 1919. عضو الحزب الوطني العراقي بقيادة جعفر أبو التمن عام 1922. لقب بشاعر ثورة العشرين لما قدَّمهُ من شعر فيها وفي كل قضايا العراق الوطنية. عام 1937 حصل على شهادة الدكتوراه في الأدب الفرنسي. عمل أستاذاً في دار المعلمين العالية في جامعة بغداد حتى تقاعد في ستينات القرن العشرين. له مؤلفات عديدة في تاريخ الأدب وكذلك مؤلفات شعرية عديدة.

ـ العلامة الآثاري والمؤرخ طه باقر (1912 ـ 28 فبراير 1984)

ولد في الحلة، وهو عالم آثار متخصص بتاريخ النهرين. درس في الولايات المتحدة ولبنان ثم نال لقب الأستاذية من جامعة بغداد عام 1959، وأتقن السومرية والأكدية وترجم الكثير من نصوصها إلى العربية، ومن أهمها (ملحمة كلكامش)، وكذلك ترجم الكتب الأجنبية الخاصة بتاريخ النهرين، وترأس الكثير من البعثات التنقيبية في مختلف أنحاء العراق، وألف العديد من الكتب المرجعية في تاريخ النهرين، وكذلك أصدر مجلة (سومر) الشهيرة المختصة بآثار وتاريخ النهرين.

ـ المؤرخ عباس العزاوي (1890 ـ 1971): ولد في ريف ديالى، وهو من المؤرخين الرواد وأسهم في وضع أسس المدرسة التاريخية العراقية المعاصرة. كانت ثقافته الأولى دينية ثم دخل (كلية الحقوق) في بغداد وبدأ يمارس المحاماة. اتجه نحو دراسة التاريخ معتمداً على نفسه. ترك كثيراً من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة ومنها كتابه المشهور (تاريخ العراق بين احتلالين) في ثمانية مجلدات، ويدور الكتاب حول تاريخ العراق الحديث بين الاحتلال المغولي والاحتلال البريطاني لبغداد، ويليه في الأهمية كتاب (عشائر العراق) في أربعة مجلدات، وللعزاوي مؤلفات أخرى منها (تاريخ اليزيدية) و(الكاكائية في التاريخ) و(الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان)، وكتب تاريخية عديدة مهمة. كما ترجم عن التركية.

ـ العلامة اللغوي مصطفى جواد (1904 ـ 1969): ولد في بغداد، وهو من أهم اللغويين العرب في القرن العشرين، وهو من أصول تركمانية عراقية. مارس التعليم في أنحاء العراق، ودرس في فرنسا، وتعرف على الأب أنستاس الكرملي فلازمَهُ وكتب في مجلته (لغة العرب)، وقد تخصص بفن (التصحيح اللغوي) وأصدر العديد من المؤلفات حول الأصول الصحيحة للّغة العربية، واشتهر ببرنامجه الإذاعي (قل ولا تقل). من مؤلفاته: الحوادث الجامعة، دليل خارطة بغداد المفصل، جاوان القبيلة الكردية المنسية، الضائع من معجم الأدباء، المستدرك على المعجمات العربية، رسائل في النحو واللغة.

ـ الموسيقي الشريف محيي الدين حيدر (1892ـ 1967): رغم أنه ليس عراقياً لكنه يستحق الذكر؛ لأنه قام بدور كبير بتأسيس مدرسة العود العراقية الحديثة، ولد في إسطنبول من العائلة الهاشمية التي حكمت مكة ثم العراق (ابن عم الملك فيصل

الأول)، وكانت ثقافته (تركية ـ عربية)، بالإضافة إلى الثقافة الأوربية. استقدم إلى بغداد عام 1936 ليساهم مع الفنان العراقي (حنا بطرس) بتأسيس (معهد الموسيقى)، وتمكن من نقل الموسيقى العراقية من إطارها الشعبي التقليدي إلى مستوى أكاديمي علمي معاصر. اهتم بـ (فن المقام العراقي)، واستقدم العازفين الرومان للمساهمة بتدريس الموسيقى الغربية أيضاً، وبفضله أصبحت آلة العود تدرَّس بشكل علمي منتظم ومحدث وحسب منهاج محدد وتمارين متدرجة الصعوبة، وضعها هو بنفسه، وهي نفس طريقة تدريس الموسيقى الكلاسيكية الغربية، وكان من طلبته: الشاعرة نازك الملائكة، والفنانون الكبار: جميل بشير ومنير بشير، سلمان شكر، غانم حداد، جورج ميشيل، روحي الخماش. وترك أيضاً معزوفات عديدة لا زالت تدرَّس حتى الآن: الطفل الراكض، الطفل الراقص، ليت لي جناحاً، الأغاني للأطفال، كابريس كابريس، سماعي نهاوند، سماعي عراق، سماعي مستعار، سماعي عشاق، سماعي دوكاه، سماعي هزام، تأمل.

ـ الفنان المسرحي حقي الشبلي (1913ـ 1985): ولد في بغداد، ويعتبر رائد الحركة المسرحية في العراق. قام بأول دور تمثيلي في عام 1926 في فرقة جورج أبيض المصرية. أسس الفرقة الوطنية التمثيلية ومن أعضائها: نوري ثابت، فائق حسن وحافظ الدروبي. عام 1931 أسس فرقة تحمل اسمه، أسس قسم المسرح في معهد الفنون الجميلة. درس المسرح في باريس، ثم صار الشبلي رئيساً لقسم المسرح ومدرساً فيه ثم عميداً لمعهد الفنون الجميلة. أسس شركة سومر للسينما المحدودة وأنتج فيلمين. كما أصبح أول مدير عام لمصلحة السينما والمسرح وأنتج العديد من الأفلام السينمائيه، ثم أصبح نقيباً للفنانين، وفي عهده أصبح عدد منتسبي النقابة يربو على ثلاثة آلاف فنان وفنانة. على مدى مسيرته الفنية حاز الفنان حقي الشبلي على العديد من الجوائز الفنية العراقية والعربية، لعل أبرزها تكريمه في تونس عام 1983 كرائد عربي من رواد فن المسرح.

ـ الرسام والنحات جواد سليم (1921 ـ 1961): ولد في أنقرة لأبوين عراقيين موصليين. يعتبر من أكبر رسامي ونحّاتي العراق، واشتهرت عائلته بالرسم، فقد كان والده الحاج سليم وإخوته ـ سعاد ونزار ونزيهة ـ كلهم فنانين تشكيليين، وكان في طفولته يصنع من الطين تماثيل تحاكي لعب الأطفال، ولقد أكمل دراسته الابتدائية والثانوية في

بغداد. درس في فرنسا وإيطاليا ولندن. رأس قسم النحت في معهد الفنون الجميلة في بغداد حتى وفاته في عز شبابه. كان يجيد اللغة الإنكليزية والإيطالية والفرنسية والتركية إضافة إلى لغته العربية، وكان يحب الموسيقى والشعر والمقام العراقي. أسس جماعة بغداد للفن الحديث مع الفنان شاكر حسن آل سعيد، والفنان محمد غني حكمت. كما أنّه أحد مؤسسي جمعية التشكيليين العراقيين، وضع عبر بحثه الفني المتواصل أسس مدرسة عراقية في الفن الحديث، وفاز بجائزة عالمية. في 1959 شارك مع المعماري رفعت الجادرجي والنحات محمد غني حكمت في تحقيق (نصب الحرية) القائم في ساحة التحرير ببغداد، وهو من أهم النصب الفنية في الشرق الأوسط.

ـ الفنان المغني ناظم الغزالي (1921 ـ 1963): من أشهر مغني العراق في الخمسينيات والستينيات، ولد في بغداد يتيماً، لأم ضريرة وفقيرة. درس المسرح في معهد الفنون الجميلة. عام 1952 نشر سلسلة من المقالات (أشهر المغنين العرب)، وظهر كتابه (طبقات العازفين والموسيقيين). عمل في المسرح ولحَّن أول أغنية (هلا هلا) التي دخل بها إلى الإذاعة، وترك المسرح ليتفرغ للغناء. منذ بداية الخمسينيات بدأت أغنيات الغزالي تعبر الحدود، فأقام عدة حفلات في كثير من الدول العربية، وأصبح سفيراً للأغنية العراقية، وبداية الخمسينيات هي الفترة التي شهدت تطوراً وربما انقلاباً ملحوظاً في غالبية مقاييس الغناء في العراق ومواصفاته. لقد طور الغزالي غالبية مقاييس الغناء في العراق. غنى لأشهر الشعراء العرب. تزوج بالمغنية العراقية الشهيرة (سليمة مراد)، وقد توفي في عز شبابه.

ـ المؤرخ علي الوردي (1913 ـ 1995): وهو عالم اجتماع ومؤرخ كبير، ولد في بغداد في مدينة الكاظمية. ترك مقاعد الدراسة ليعمل صانعاً عند عطار. التحق بالدراسة المسائية في الصف السادس الابتدائي وكانت بداية لحياة جديدة، وأكمل دراسته وأصبح معلماً. كما غيَّر زيه التقليدي عام 1932 وأصبح «أفندي». درس في الجامعة الأمريكية في بيروت ثم في تكساس حيث نال الدكتوراه عام 1950. عمل في التدريس في المدارس وفي جامعة بغداد، ويعتبر مؤرخاً كبيراً حيث ألَّف ثمانية عشر كتاباً ومئات البحوث والمقالات، وتميز بأسلوبه الواضح والمشوّق، ومن أهمها كتابه الكبير عن تاريخ العراق في الحقبة العثمانية (لمحات اجتماعية) في ثمانية أجزاء. رغم

تأثره بمنهج ابن خلدون لكن يعاب عليه تحليلاته الاجتماعية الاستشراقية الاحتقارية للمجتمع العراقي[26].

ـ الروائي غائب طعمة فرمان (1927 ـ 1990): ولد في بغداد، ويعتبر من أول كبار الروائيين العراقيين حيث تميز بالأسلوب الواقعي الاجتماعي. أصيب بالدرن في شبابه فسافر إلى مصر للعلاج ليكمل دراسته في كلية الآداب. عمل في بغداد منذ منتصف خمسينيات القرن العشرين في الصحافة الأدبية. أصدر عدة مجموعات قصصية وروايات من أهمها (النخلة والجيران) التي تحولت إلى مسرحية عراقية شهيرة. استقر في روسيا منذ الثمانينات، وعمل مترجماً عن الروسية حيث ترجم نحو ثلاثين كتاباً أدبياً، ونال جائزة رفيعة على جهده في هذا الجانب وعن ترجماته، وقد توفي ودفن في موسكو.

ـ الروائي فؤاد التكرلي (1927 ـ 2008)

ولد التكرلي في بغداد ودرس في مدارسها، تخرج في كلية الحقوق عام 1949، ثم عمل كاتب تحقيق وبعدها محامياً، ثم قاضياً، وتولى عدة مناصب في الدولة ومنها في القضاء، وبعدها سافر إلى فرنسا ثم عاد ليعين خبيراً قانونيّاً في وزارة العدل العراقية، وعاش في تونس لسنوات بعد تقاعده. نشر العديد من الروايات والمجموعات القصصية، ويعتبر مع (غائب طعمة فرمان) من رواد الرواية العراقية الواقعية الناجحة.

(26) ـ عن عنصرية (الوردي)، راجع دراستنا المطولة المنشورة عنه:
ـ علي الوردي وعنصريته ضد المجتمع العراقي، سليم مطر.

الشعراء الرواد

بما أن الإبداع العراقي طيلة تاريخه الطويل متميز بالشعر، فإنه من الطبيعي أن يبرز في هذه المرحلة شعراء رواد كبار، ويمكن ذكر بعض المبدعين الذين ساهموا بدرجات وأساليب مختلفة بتأسيس النهضة الثقافية في هذه المرحلة الحديثة:

ـ الشاعر جميل صدقي الزهاوي (1863 ـ 1939)

ولد في بغداد، من عائلة الزهاوي التي ترجع إلى منطقة (زهاو) الكردية في شمال العراق، ووالده (محمد فيضي الزهاوي) مفتي بغداد والعراق. عين عضواً في مجلس المعارف، ثم مديراً لمطبعة الولاية ومحرراً لجريدة الزوراء. سافر إلى إسطنبول عام 1896، فأعجب برجالها ومفكريها وتأثر بالأفكار الغربية والحركة الدستورية، وعين أستاذاً للفلسفة الإسلامية هناك. انضم إلى حزب الاتحاديين العثماني، وانتخب عضواً في (مجلس المبعوثان) مرتين، وعند تأسيس الحكومة العراقية عين عضواً في مجلس الأعيان، ويعتبر من كبار مجددي الشعر العربي، وتميز شعره بالميل الفلسفي والنقد الاجتماعي.

ـ الشاعر معروف الرصافي (1875 ـ 1945): ولد في بغداد، ثم دخل المدرسة العسكرية الابتدائية فتركها، وانتقل إلى الدراسة في المدارس الدينية، ثم اتصل بالشيخ العلامة محمود شكري الآلوسي ولازمهُ اثنتي عشرة سنة، وتخرج عليهِ وكان يرتدي العمامة وزي العلماء وسمّاهُ: (معروف الرصافي) ليكون في الصلاح والشهرة والسمعة الحسنة، مقابلاً لـ(معروف الكرخي)، ثم سافر إلى إسطنبول وعيّن مدرساً لمادة اللغة

العربية في الكلية الشاهانية ومحرراً لجريدة سبيل الرشاد، وانتخب عضواً في مجلس المبعوثان (البرلمان) عام 1912م، وأعيد انتخابه عام 1914، وعين مدرساً في دار المعلمين في القدس عام 1920م، وعاد إلى بغداد عام 1921 وأصدر جريدة الأمل، وانتخب عضواً في مجمع اللغة العربية في دمشق. خاض المعارك الشعرية وتميزت قصائده خصوصاً بالنقد السياسي.

ـ الشاعر الملا عبود الكرخي (1869 ـ 1946): هو شاعر شعبي بغدادي ساخر وشهير جداً، ولا زالت قصائده متداولة. كان من عائلة واسعة الثراء وتلقى علومه الأولية في الكتاتيب، فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن المجيد، ثم التحق بحلقات الدرس في الكاظمية، ونبغ في كتابة الشعر العامّي، حتى صار يعرف باسمه. كان يشارك والده التاجر في ترحاله وأتقن الكردية والفارسية والتركية والألمانية نتيجة لأسفاره الكثيرة. عمل في الصحافة وأصدر العديد من الصحف، وكان يعاني من غلق صحفه. ومن أشهر قصائده (المجرشة):

ذَبيت روحي عالجرش وأدري الجرش ياذيها *** ساعة وأكسر المجرشة وألعن أبو راعيها

ـ الشاعر محمد مهدي الجواهري (1899ـ 1998): ولد في النجف من عائلة نجفية عريقة، أبوه وأجداده من علماء ومثقفي النجف. لقب بشاعر العرب الأكبر. كان في أول حياته يرتدي لباس رجال الدين. اشتغل مدة قصيرة في بلاط الملك فيصل الأول، ثم راح يعمل في الصحافة فأصدر مجموعة من الصحف البغدادية، وانتخب عدة مرات رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين. انتخب نائباً في مجلس النواب العراقي. كان من المؤيدين المتحمسين لجمهورية 14 تموز 1958 ومقرباً من زعيمها، فلقب بـ (شاعر الجمهورية). غادر العراق عام 1961 واستقر في براغ سبع سنوات. عاد إلى العراق في نهاية عام 1968 بدعوة رسمية من الحكومة العراقية، بعد أن أعادت له الجنسية العراقية، وخصصت له راتباً تقاعدياً. تنقل بين سوريا ومصر والمغرب والأردن، ثم استقر في دمشق بضيافة الرئيس الأسد، ومنح أعلى وسام. حتى توفي ودفن في دمشق. ألف العديد من الدواوين وكذلك عدة أجزاء من ذكرياته. يعاب على الجواهري تركيزه على الارتزاق في الشعر حيث ألف قصائد المديح لجميع القادة الحزبيين والحكوميين في

العراق والعالم العربي: الملك فيصل، والزعيم قاسم، والرئيس البكر، والملا البرزاني، والرئيس الأسد، وغيرهم.

ـ الشاعر بدر شاكر السياب (1926 ـ 1964): ولد في البصرة. يعتبر مؤسس الشعر العربي الحديث مع الشاعرة العراقية (نازك الملائكة). درس الأدب العربي والإنكليزي في بغداد، واشتغل بالتعليم في أنحاء العراق. كان قريباً من الحزب الشيوعي، وبسبب ذلك سجن وطرد من عمله. عاش في الكويت ثم عاد إلى بغداد واشتغل في الصحافة، ثم رحَّب بجمهورية تموز 1958. لكنه عاش معذباً بسبب مضايقات اليساريين له بعد اختلافه معهم. في سنة 1962 أُدخل مستشفى الجامعة الأميركية ببيروت، ثم عاد إلى البصرة وظلّ إلى آخر يوم من أيامه يصارع الآلام إلى أن توفي في عز شبابه. أصدر عدة دواوين: أزهار ذابلة، أساطير، المومس العمياء، الأسلحة والأطفال، حفّار القبور، أنشودة المطر، المعبد الغريق، ومنزل الأقنان، شناشيل ابنة الجلبي، إقبال.

رائدات النهضة الحديثة

رغم عيوب (النهضة الحديثة) لكن لها أيضاً محاسنها، حيث إنها جهدت لتخليص المرأة العراقية من انطوائيتها (البيتوتية) التي دامت عدة قرون، ودفعها إلى مشاركة أخيها الرجل في الحياة العامة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً.

طبعاً مثل أية ظاهرة جديدة، هنالك دائماً رواد يبادرون لإنشائها. هذه جردة سريعة للشخصيات النسوية العراقية اللواتي لعبن أدواراً ريادية من أجل إبراز دور المرأة ومشاركتها في الحياة العامة جنباً إلى جنب مع أخيها الرجل العراقي:

ـ الشاعرة نازك الملائكة (1923 ـ 2007): ولدت في بغداد (الكاظمية) من عائلة مثقفة، وتعتبر مع الشاعر السياب من مبدعي (الشعر الحديث) في خمسينيات القرن الماضي. درست التعليم وكذلك الموسيقى، ثم الأدب في إحدى جامعات أمريكا، ثم عملت بالتدريس الجامعي في بغداد والبصرة والكويت.عاشت في القاهرة منذ 1990 في عزلة اختيارية حتى توفيت هناك. لها مجموعات شعرية عديدة، وكذلك مؤلفات بالنقد الأدبي ومجموعة قصصية.

ـ المغنية سليمة مراد (1901 ـ 1974): ولدت في بغداد من عائلة يهودية عراقية. تعد من قمم الغناء العراقي، وهي أول امرأة تأخذ لقب باشا بعد أن منحتها الحكومة الملكية هذا اللقب لأهميتها الفنية، وقد تعرفت بالشاعر عبد الكريم العلاف الذي كتب لها أجمل الأغاني منها (خدري الجاي خدري، وكلبك صخر جلمود، وعلى شواطئ دجلة أمر، ويا نبعة الريحان، والهجر..) وغيرها. كما كان يلحن لها صالح الكويتي، وكانت أول فنانة عراقية تأخذ الطائرة إلى باريس، وفي سنة 1936 كانت من أوائل المطربات اللواتي دخلن الإذاعة فقدمت العديد من الحفلات الغنائية، وكان لها منتدى أدبي في بيتها فيه كبار الشخصيات من الأدباء والشعراء ورجال السياسة، ورفضت الهجرة إلى إسرائيل وبقيت في العراق، وقد اشتهرت أيضاً لزواجها بالمغني العراقي (ناظم الغزالي) الذي كان يصغرها بسنوات عديدة، وبقيت وفية لذكراه بعد موته حتى توفيت في بغداد، وكانت من بين آخر اليهود الذين رفضوا الهجرة.

ـ المغنية صديقة الملاية (1901 ـ 1969): ولدت في بغداد، اسمها الحقيقي فرجة عباس، ولكنها حملت لقب (الملاية) لأنها كانت تشتغل في البداية بقراءة المقتل الحسيني (ملاية)، وهي من أشهر المطربات وكانت أول مطربة عراقية غنت من دار الإذاعة العراقية عام 1936، سجلت عام 1923 مجموعة من الأسطوانات. كانت صديقة الملاية مطربة دائمة الحضور في (ملهى الشورجة). من أغانيها التي اشتهرت

بها والتي لا تزال تتردد على ألسنة العراقيين: (الأفندي) و(الجار خويه الجار) و(يا صياد السمك) و(فراقهم بكاني) و(على جسر المسيب).

ـ **الرسامة نزيهة سليم (1927 ـ 2008):** ولدت في تركيا من أبوين عراقيين موصليين، وهي أخت الفنان الشهير (جواد سليم). تخرجت في معهد الفنون الجميلة في بغداد، ثم سافرت إلى باريس لإكمال دراستها. ساهمت مع الفنان شاكر حسن آل سعيد ومحمد غني حكمت وجواد سليم، في تشكيل جماعة الفن الحديث عام 1953 ـ 1954. معظم أعمالها تجسد حال وواقع الحياة البغدادية من الناحية الاجتماعية والثقافية، وأظهرت فيها معاناة المرأة العراقية في المجتمع.

ـ **الشاعرة لميعة عباس عمارة:** ولدت عام (1929) في بغداد لعائلة صابئية عراقية مهاجرة من (العمارة) ولهذا حملت لقبها. اشتغلت بالتعليم، وتعتبر من أشهر الشاعرات العراقيات المحدثات، ولها دواوين بالشعر الفصيح والعامي. عاشت أغلب أيام غربتها في الولايات المتحدة بعد هجرتها من العراق في أواخر السبعينات.

ـ **السياسية نزيهة الدليمي (1923 ـ 2007):** ولدت في بغداد ودرست الطب، وهي أول امرأة تصبح وزيرة (البلديات) في العراق وفي العالم العربي، بل حتى بالنسبة لدول مثل سويسرا، حيث إن أول وزيرة أتت بعد أكثر من 20 عاماً. ساهمت في جهود إصدار قانون الأحوال الشخصية في العراق عام 1959 والذي اعتبر القانون الأكثر تقدماً في الشرق الأوسط، ولعبت دوراً إيجابياً في تشييد مدينة الثورة للمهاجرين، وقد أقيم لها تمثال في بغداد عام 2009.

ـ **الفنانة المسرحية زينب (1931ـ 1998):** ولدت في الكوت، ودرست التعليم والأدب العربي واشتغلت بالتدريس، وطردت من العمل بسبب ميولها الشيوعية. اشتهرت في مسرحية (آني أمك ياشاكر) عام 1958، وفي العديد من المسرحيات مثل (النخلة والجيران)، وكذلك بعض الأفلام العراقية مثل (سعيد أفندي) و(الحارس). تركت العراق عام 1979 وعاشت في سوريا وبلدان أخرى، ثم استقرت حتى توفيت في السويد.

رائدات الصحافة النسوية

الطريف ان صحيفة(فتاة الرافدين) البصرية، لم تنشر صورة واحدة لنساء عراقيات، بل كلهن اوربيات وامريكيات!؟

وهن العاملات في ميدان الصحافة سواء من احترفن الكتابة الصحافية أو اللواتي أصدرن مجلات دورية أو مطبوعات تمثل جمعيات أو مؤسسات صحية، فبرزت (سلوى زكو) و(جميلة يوسف) كصحافيات لامعات وكاتبات مقال في مجالات الدفاع عن أوضاع المرأة والقضايا السياسية.

ـ بولينا حسون: وهي من رائدات الصحافة النسوية العراقية، حيث أصدرت أول صحيفة نسوية يوم 15 تشرين الأول عام 1923 باسم (مجلة ليلى). وهي مجلة ذات طابع تربوي وعظي يحاول أن يحرّض المرأة للحصول على حقوقها وتعليمها.

ـ حميدة الاعرجي: اصدرت في عام 1936 مجلة (المرأة الحديثة)، وكانت تدعو إلى تحطيم القيود البالية وعدم التفريق بين الرجل والمرأة.

ـ حسيبة راجي: في نفس العام 1936 أصدرت مجلة (فتاة العراق)، ومحررتها (سكينة إبراهيم)، وهي مجلة تدعو إلى روح التجديد وإطلاق الأفكار الجريئة وتشكيل برلمان نسوي يتبنّى القضايا السياسية مثل قضية فلسطين والاستعمار البريطاني في العراق، ودعم نضال المرأة في العالم ودعوة النساء للعمل مع الرجل جنباً إلى جنب..

ـ مريم نرمة: اصدرت مجلة (فتاة العرب) سنة 1936 أيضاً التي اهتمت بقضية تعليم المرأة.

ـ نهاد الزهاوي: أصدرت مجلة (الصبح) في 21 آذار عام 1936.

ـ صدرت في البصرة مجلة (فتاة الرافدين) عام 1943..

ـ صدرت مجلة (تحرير المرأة) عام 1946 عن الرابطة النسائية.

ـ صدرت مجلة (الرحاب) عام 1946 لصاحبتها (أقدس عبد الحميد).

ـ صدرت مجلة الأم والطفل عام 1946 بإشراف الدكتورة (لمعان أمين زكي).

ـ في عام 1948 صدرت مجلة (بنت الرشيد)، ورئيسة تحريرها (درة عبد الوهاب).

ـ في عام 1950 صدرت مجلة (الاتحاد النسائي)، لصاحبتها (آسيا توفيق وهبي)، ثم توقفت وعاودت الصدور عام 1958.

ـ في عام 1968 صدرت مجلة (المرأة).

الخاتمة

مشاكل العراق، وإحياء الهوية الوطنية!

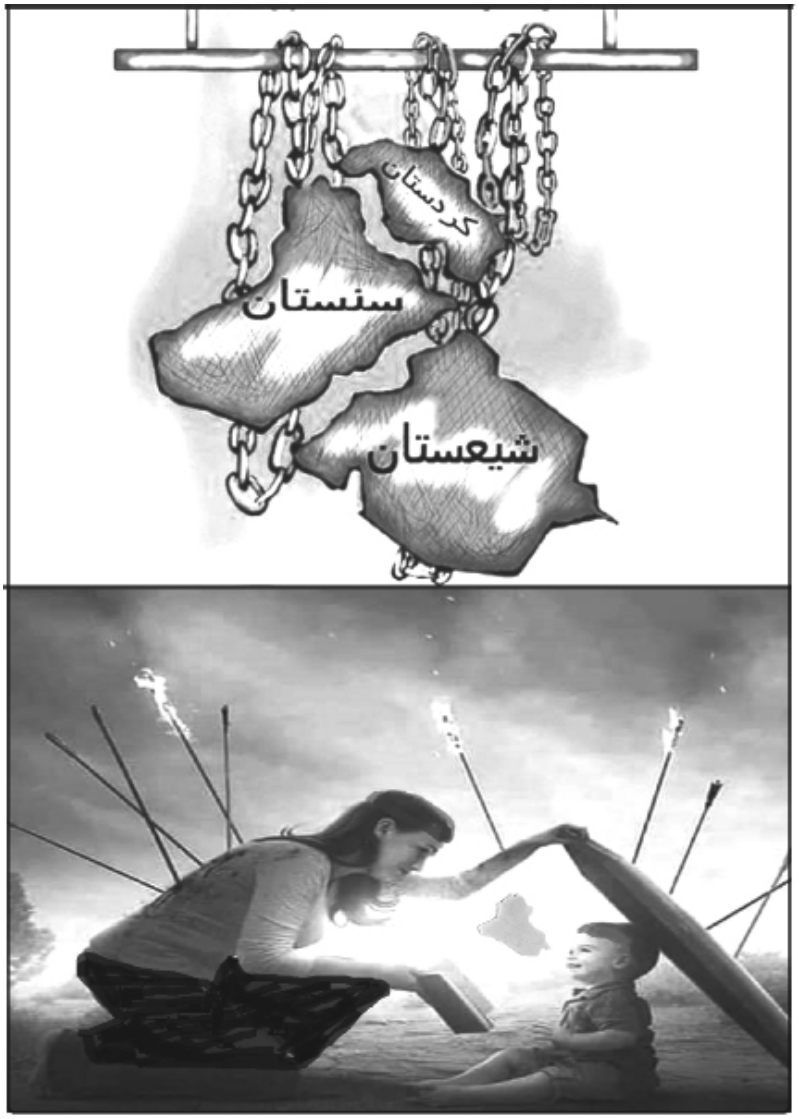

إن هذا العرض الطويل والمختصر لتاريخ العراق منذ سبعة آلاف عام حتى العصر الحالي، يسمح لنا بتحديد المشاكل الأساسية التي يعاني منها..

إن أي شعب مثل الفرد، تتحكم به ناحيتان:

ـ الناحية الموضوعية الواقعية: وتتمثل بطبيعة المكان، الوطن وبيئته التي يعيش فيها، والبلدان المجاورة والمؤثرة.

ـ الناحية الذاتية الداخلية: وتتمثل بكيانه الداخلي وشخصيته وعقليته وقناعاته، أي دور النخب الثقافية والدينية والسياسية إذ هي التي تحدد مدى قدرته على تفهُّم محيطه وبيئته والتعامل معها بصورة: سلبية مدمرة، أو إيجابية مثمرة.

من الصعب ومن الخطيئة، التأكيد فقط على ناحية وتجاهل الثانية، بل إن الباحث الذكي هو من يجهد لاكتشاف التفاعل المرئي المعلن وكذلك الخفي غير الواعي، بين هاتين الناحيتين: الذاتية والواقعية.

دور النخب

إذا كان الفرد يقوده عقله (عقله وقناعاته)، فإن الشعب تقوده (نخبه) الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية، الحاكمة والمعارضة. في لغة التراث يقال: الراعي والرعية.. وفي العصر الحديث يقال: النخبة والشعب. علاقة (النخبة بالشعب) مثل علاقة (العقل بالجسم)، لكل منهما كيان ودور مختلفان، ولكن بتأثير وتفاعل متبادل.

هنالك تعريفات مختلفة لمفهوم (النخبة)، أما تعريفنا:

هي (الجماعات الأقلية) القادرة على التأثير في (الاغلبية) بمختلف الطرق المرئية والمخفية، العقلية والعاطفية، السلبية والايجابية، منها: الثقافي أو السياسي أو الديني أو المالي. في كل جماعة بشرية حتى في القرى النائية والعشائر البدائية، هنالك أقلية تؤثر في الاغلبية وتقودها بطريقة مباشرة وغير مباشرة: محاربون وإداريون وأغنياء وفقهاء وحكاوتية وشعراء ومطربون.. إلخ..

طبعاً (مفهوم النخبة) غير مرتبط بالقيمة الأخلاقية والضميرية، فحتى كبار الفاسدين والسرّاق والقتلة، يمكن اعتبارهم ضمن النخبة، ما داموا قادرين على

التأثير على الغالبية، سلباً وإيجاباً. إذن من الخطأ الحديث عن (الشعب)، بل الأصح والأوضح الحديث عن: (النُخب)، لأن (تقدم وتخلف الشعب) من (تقدم وتخلف نخبه) الحاكمة والمعارضة.

(النخبة) الاعلامية أخطر من الجيوش والشرطة!

إن تاريخ البشرية يكشف لنا أن جميع الدول والعقائد والمتغيرات المادية والروحية، ما ظهرت وفرضت نفسها إلاّ بفضل أقلية من الناشطين (النخبة). لهذا جهد الفاتحون والمحتلون الى السيطرة على (النخب) بمختلف طرق الكسب والقمع.

في العصر الحديث ظهرت (نخبة الاعلاميين) كأخطر وأسرع سلاح، مع الجيش والمخابرات، يتم استخدامه للسيطرة على أي شعب. يكفيك أن تمتلك (ألف اعلامي) كي تسيطر على عقول عشرات الملايين من الناس. إن أفظع مثال على هذا: (سياسة الاحتلال الامريكي للعراق عام 2003). تراهم قبل الاجتياح بعامين نشطوا بين الجاليات العراقية في المهجر ونظموا دورات تدريب الكوادر الاعلامية وإعدادهم لإدارة المواقع والفضائيات. لهذا فقد ترافق (الاجتياح العسكري) مع (اجتياح اعلامي) لا مثيل له في التاريخ: فوجئ العراقيون بزخم مذهل من عشرات بل مئات الفضائيات والمواقع الصحفية من كل نوع ولون، من التعصب الديني الى التعصب الشذوذي، أكثر بكثير من أي بلد ليبرالي في العالم! كل طائفة وجماعة وقومية وحزبية لها فضائيتها الخاصة بها. منذ الأيام الاولى تمكن الامريكان من تحويل الإنسان العراقي إلى (وحش تلفزيوني)، (بدنه) يعيش في الواقع و(روحه) في التلفزيون. حتى لو انفجرت قنبله بجنبه لن يتخلى عن معاينة الشاشة وتغيير القنوات.

منذ 2003 وحتى الآن هنالك فقط مجالان نشيطان: (الاعلام) و(النفط)! كل هذا من أجل (عيون النفط) كي يزداد استخراجه وسرقته، والعراقي المسكين يعيش بين القمامة، ويتلقى القنابل، وأبناؤه في سوح الحروب والهجرة. ثم فوق كل هذا أباحوا لفضائيات اتباع إيران، تعليم العراقي كيف يزحف في الأطيان ذلاً وعويلاً على الأئمة الذين قتلوا قبل 1400 عام!!

مشاكل العراق الحديث

إن مجريات تاريخ العراق الحديث منذ تأسيس دولته عام 1921، والكوارث المتلاحقة منذ عدة أجيال، دليل دامغ على (فشل نخبه) في تفهم واقعه والتعامل الذكي معه. ومن الخطيئة اصرار كل حزب أو طائفة أو قومية، بوضع المسؤولية على طرف، والتباكي من وضع الضحية. إن المشكلة الكبرى للنخب العراقية تكمن في تفاقم عمائها عن رؤية الواقع الوطني والمحيط، بسبب بقائها سجينة لعقائدها (الحداثية) و(الدينية). فهي إما أن تشاهد الواقع بعيون اوربية: (ماركسية وليبرالية وقومية عنصرية)، أو بعيون دينية: (السلف الصالح والجاهلية الاولى والشحن الطائفي)!

في الحقيقة إن (مشاكل العراق) طيلة تاريخه هي نفسها (أسباب غناه وتحضره): موقعه الاقليمي والعالمي، وثراؤه الطبيعي، وتنوع شعبه:

أولاً ـ خطورة موقع العراق شرق الاوسطي، وأهمية التحالف العربي

إن موقعه المركزي في وسط الشرق الاوسط، أخطر منطقة في العالم سابقاً وحالياً، لأنها تربط آسيا وأفريقيا واوربا. وهي موطن الحضارات والأديان، وحولها كانت ولا زالت تتمحور غالبية الصراعات الدولية.

لتبيان أهمية الموقع، لنتخيل لو كان العراق يقع في جنوب آسيا أو في أوربا، يقيناً كان قد اختلف شعبه وتاريخه تماماً. أو لو كان العراق ـ مثل إيران وتركيا ـ يتكون من هضبة عالية تحميها السلاسل الجبلية، لاختلف شعبه وتاريخه تماماً.

وكما تَوَضَّحَ سابقاً، فإن المحيط الاقليمي للعراق ينقسم الى جناحين مختلفين متناقضين:

ـ الجناح الشرقي والشمالي، المتمثل بهضبتين في (إيران) و(تركيا). وهو جناح إشكالي جداً، لأنه مختلف ثقافياً ولغوياً ونفسياً بسبب خصوصية البئية الجبلية التي شجعت على اجتياح العراق وعموم المشرق واحتلاله خلال قرون طويلة.

ـ الجناح الغربي الجنوبي، المتمثل ببلاد الشام ومصر، والجزيرة العربية. وهو جناح ـ بيئياً وثقافياً وسكانياً ـ مشابه كثيراً لما هو عليه العراق وشعبه، وهنالك تقارب ثقافي ولغوي وعاطفي ومصالحي يجمع شعوبه، رغم الاختلافات السياسية. إن التاريخ يثبت أن أي ضعف وانقسام بين دول المشرق، لا بد أن يؤدي حتماً الى استفحال قوى الجيران الخطيرين: ايران والاناضول واسرائيل، وهذا هو الحاصل منذ تحطيم العراق عام 2003.

إن إصرار القوى الغربية ـ الأمريكية على احتلال العراق، ليس فقط بسبب النفط، بل خصوصاً لأنه البلد الأمثل لتحقيق مشروعهم السري (الذي أصبح الآن مفضوحاً)، بتدمير العالمين العربي والإسلامي، من داخلهما، من خلال تفجير الحرب الدامية: (السنيّة ـ الشيعية) على صعيد العراق والعالم الإسلامي. إذ يقع العراق بين (إيران

الشيعية) شرقاً، و(السعودية الوهابية، ودول الخليج) في الجنوب الغربي. كذلك ينقسم شعب العراق إلى حوالي نصفين: شيعة وسنّة. لهذا تراهم، بعد ان سلّموا الحكم الى أحزاب ايران، فتحوا حدود العراق لدخول (القاعدة) من افغانستان، ثم قاموا بصناعة (داعش) وسلموها (الموصل)[1].

الايرانيون واتفاقهم الغريب على حقهم باحتلال العراق!؟

يبدو ان الثقافة الوطنية العنصرية التي شاعت بين الايرانيين في العصر الحديث، قد رسخت في أذهانهم فكرة عنصرية وساذجة: إن العراق جزء طبيعي وتاريخي من ايران!؟ فحتى قادة النظام الاسلامي يحملون هذه القناعة، وهذه أمثلة حديثة:

((إن إيران اليوم أصبحت امبراطورية كما كانت عبر التاريخ وعاصمتها بغداد حالياً، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا اليوم كما في الماضي... وإن جغرافية إيران والعراق غير قابلة للتجزئة وثقافتنا غير قابلة للتفكيك، لذا إما أن نقاتل معاً أو نتحد..))

علي يونسي، مستشار الرئيس الإيراني، حسن روحاني/ خطاب في منتدى «الهوية الإيرانية» في طهران/ صحافة: 2015.3.8

((على العراقيين أن يعملوا على الوحدة مع إيران لأسباب دينية وتاريخية... وأن يتخلصوا من العروبة المزيفة الجاهلية وتراب الذل العربي.. وتغيير ملابسهم بعيداً عن «الدشداشة والكوفية»))

من مقال بعنوان: الوحدة بين إيران والعراق / حسن هاني زادة، رئيس وكالة «مهر نيوز» الإيرانية/ صحافة: 18 ـ 3 ـ 2015

ثانياً، ثراء وبلاء البيئة العراقية

من حسن حظ العراق وكذلك من سوئه، أنه طيلة تاريخه ظل يتمتع بثراء طبيعي يمنحه الغنى والحياة، ولكنه أيضاً يجلب الطامعين والغزاة. وهو في العصر الحديث، يحتوي على ثروتين كبيرتين:

(1) ـ لقد فصلنا كاملاً هذا (المشروع الغربي ـ الصهيوني) بتدمير الإسلام من داخله، في كتابنا المعروف:
ـ المنظمات السرية التي تحكم العالم، سليم مطر.
توضيح مهم: إن موقفنا الدفاعي عن (التحالف العربي) ليس بدواع (قومية) بل (مصالحية). كذلك فيما يخص (الإسلام)، ليس بدوافع دينيّة أبداً، بل بدوافع (وطنية وواقعية)، لأننا نعتبر الدين، مثل اللغة، والتراث، والتاريخ، والثقافة الحديثة، من أهم مكونات (الهوية الثقافية الوطنية). نحن مع (إصلاح الدين) وليس مع (محاربته وتشويهه). كما نحن أيضاً مع إصلاح باقي مكونات الهوية والثقافة في الوطن وتخليصها من تطرفها.
ـ كانت (مسرحية الربيع العربي 2011) ذروة المشروع الغربي لتدمير وتأديب الدول العربية المارقة: سوريا وليبيا واليمن، وقبلها الجزائر وفلسطين ولبنان، ولم تنجُ مصر من بعض التخريب الارهابي رغم سلامها القديم مع اسرائيل (كامب ديفيد 1979).

ـ **الثروة المائية:** من المعلوم إن مياه الأمطار تشكل حوالي (30%) من موارد العراق المائية. وتشكل مياه الأنهار الممتدة من تركيا وإيران (70%) والمتمثلة خصوصاً بنهريه الوفيرين (دجلة والفرات) اللذين يسقيان سهوله الخصبة. ومن دون هذين النهرين، لما انوجد (العراق)، بفضلهما قامت الحياة واجتمع الناس، وتكونت الدول والحضارات. وأيضاً بسببهما حدثت الفيضانات والجفافات واجتياحات الغزاة، وقد وضَّحنا هذا طيلة فصول الكتاب.

لكن هنالك أيضاً جانب سياسي خطير في هذه الثروة، يتمثل باعتمادها الكامل على الجارتين (إيران) و(تركيا)، اللتين لا تكفّان عن ابتزاز العراق من خلال بناء السدود الكبرى التي تتحكم بمصادر المياه:

ـ من ناحية (تركيا) فإن نهري (دجلة والفرات) ينبعان منها. كذلك (الزاب الأعلى) الذي يغذي (دجلة)، و(الخابور) الذي يغذي الفرات. وتبلغ كمية المياه هذه حوالي 40% من مجمل الموارد المائية.

ـ من ناحية (إيران)، فإن الموارد المائية القادمة منها تمثل حوالي (35%) من معدل إيراداته السنوية البالغة تاريخياً بحدود (70) مليار متر مكعب: (الزاب الأصغر) و(ديالى) وعدة أنهار صغيرة، تصب في (دجلة)، ونهرا (الكارون) و(الكرخة) ويمران في (الأحواز) ويصبان في (شط العرب) الذي تحتل إيران ضفته الأحوازية.

ـ **الثروة النفطية:** وهي ثروة جديدة وخطيرة. إن النفط كان معروفاً منذ أيام السومريين، واسمه السومري ـ الأكدي: (نفط: نبتو)[2]، والكلمة لها علاقة بكلمة (نبت)؛ لأنه أيضاً

(2) ـ نفط: عُرِفَ النفط الخام في العراق القديم منذ أقدم الأزمان، ولكن لا يُمكن البت هل اُستعمل للإنارة؟، باستثناء بعَض الإشارات التي وردت في النصوص المسمارية إلى استعمال المشاعل التي يرجح أن النفط الخام أو (النفط الأسود) قد اُستعمل فيها.
كلمة «نفط» وردت في اللغة الآكدية (البابلية والآشورية) بصيغة مُضاهية للعربية وهي «نبطو». كما يوجد فعل «نباطو» (مثل مادة نبط العربية). عرف العرب كلمة نفط قديماً، إذ ورد في لسان العرب: « روى أبو حنيفة أن النفط هو الكحيل»؛ بالأكّادية «نبتو» والأرامية «نفتا». ومنها انتقلت إلى الإغريقية حيث اشتقّت كلمة (نفثا)، والتي كانت تستخدم في أواخر القرن التاسع عشر للإشارة إلى النفط بشكل عام؛ إلاّ أنّ دلالة كلمة نفثا تغيّر مع مرور الوقت، إذ يشير حالياً إلى مزيج خام من قطفات النفط يحصل عليه بعد إجراء تقطير أوّلي.
ـ معجم المساعد، أنستاس الكرملي، ج2، ص143
ـ كذلك ابحث عن دراسة: مُفردات سومرية أكدية آرامية لا زالت مستعملة في اللسان العراقي: (طلعت ميشو)

يخرج من الأرض، وكانت بعض منتجات النفط مثل (القير) تظهر بشكل طبيعي على سطح الأرض في مناطق الناصرية والبصرة وكركوك والقيارة، واستخدمه العراقيون طيلة التاريخ في تبليط شوارع مدينة بابل ونينوى ثم بغداد وغيرها. كما تم استخدام القير من قبل فلاحي العراق القدماء والحاليين في طلاء الزوارق في الأنهار والأهوار وبعض الأدوات المنزلية. وربما أيضاً في المشاعل.

في العصر الحديث، كان الألمان أول من حاول استكشاف النفط في العراق في الفترة (1860 ـ 1880) حيث استقدمهم والي بغداد العثماني (مدحت باشا) وقاموا بإنشاء مصفى في بعقوبة لتصفية النفط المستخرج من (مندلي). إن البحث الفعلي تم بعد الحرب العالمية الأولى والاحتلال البريطاني، حيث نصت اتفاقية سان ـ ريمو (1920) على أن تكون احتياطيات النفط المتوقع ظهورها في (بلاد ما بين النهرين) مشتركة بين فرنسا وبريطانيا العظمى.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، تم اكتشاف النفط بكميات كبيرة في أنحاء العراق مع ازدياد الطلب العالمي، ومع الزمن أصبح قطاع النفط هو المهيمن والحاسم في الاقتصاد العراقي وانحسرت بقية القطاعات إلى المرتبة الثانية، وظل النفط طيلة العصر الحديث وحتى الآن العامل الأول في كل المؤامرات والاجتياحات التي عانى منها العراق، ولو جمعنا وطرحنا فإن المحصلة النهائية إن العراقيين لم يكسبوا من الثروة النفطية غير الحروب والمؤامرات والخراب. لهذا منذ الغزو الأمريكي عام 2003 وحتى هذه اللحظة، القطاع الوحيد الذي بقي صالحاً وتطور، هو (قطاع النفط)! فمن عجائب الأمور أن الإرهابيين قد فجّروا كل شيء في العراق، حتى الأطفال والنساء والدكاكين والمدارس، إلاّ (آبار ومصافي النفط)، وكأنها محمية من قبل قوى سحرية (أو سريّة)!

كوارث البيئة العراقية

يمكن القول إن البيئة العراقية تعاني من نوعين من المشاكل، أولهما تلك التي تعاني منها البيئة في باقي بلدان المعمورة، مثل تلوث الأرض والمزروعات بالكيمياويات (المعقمات والأسمدة)، والكم الهائل من السيارات بما تجلبه من دخان وضجيج وزحام وحوادث، والنمو الهائل للمجمعات السكنية المحشورة بالملايين من

السكان من دون توفر الشروط الإنسانية والصحية، ومشكلة رمي الملوثات الكيميائية والصناعية في الطبيعة بسبب ضعف الرقابة وفساد الأوضاع، وغيرها من المشاكل البيئية المعروفة في العالم أجمع.

لكن بالإضافة إلى هذه المشاكل، يعاني العراق من أربع كوارث كبرى تجعل البيئة العراقية واحدة من أكثر بيئات العالم خطورة وخراباً وأذى للإنسان[3]:

جفاف النهرين، التلوث الحربي والإشعاعي، سرقة وتدمير الآثار، وموت بساتين النخيل..

من المعلوم إن الكوارث البيئية التي تصيب أوطان المعمورة، بعضها لأسباب طبيعية مثل الزلازل والفيضانات، وبعضها لأسباب بشرية مثل التصنيع الوحشي والتمدن السريع والسدود غير المدروسة والزراعة الكيميائية وتأثير الحروب، وغيرها. مما يثير الانتباه حقاً أن هذه الكوارث البيئية العراقية الأربع كلها نتيجة عوامل بشرية، بل الأنكى من هذا أنها عوامل سياسية مباشرة تكاد أن تكون خالية تماماً من العامل الطبيعي!!

1 ـ جفاف النهرين: نتيجة ضعف الدولة العراقية وعدم رعايتها إدارة النهرين بالإضافة إلى جريمة تجفيف الأهوار من قبل نظام صدام، كل هذا شجَّع الدول المجاورة على أن تقيم المشاريع والسدود بصورة مخالفة لجميع الاتفاقيات والشرائع الدولية، لكي تستحوذ على الكم الأكبر من مياه النهرين.

2 ـ التلوث الحربي والشعاعي: بسبب الحروب والأسلحة الفتاكة مثل القنابل المشعة باليورانيوم المخصَّب وغيرها من المواد القاتلة التي رميت بمئات الآلاف من الأطنان في أرض العراق من قبل القوات الأمريكية خلال حروب عقدي التسعينات والألفين، بالإضافة إلى تلويثات تلك الآلاف من التفجيرات الإرهابية ودفن المواد الحربية والكيماوية بصورة مخالفة لكل الشروط المعروفة. لقد ارتفعت نسبة الملوثات في العراق 11 مرة مقارنة بعام 1987.

(3) ـ عن (خراب البيئة العراقية)، لا يحتاج أن نضع المصادر، لأن الموضوع مطروق بتفاصيله ودراساته ومواقعه العديدة. يكفي وضع العنوان (البيئة العراقية) حتى تظهر كل هذه المجالات.
إن أفظع دليل على (خراب ضمائر النخب العراقية) أكثر من (البيئة العراقية)، أنه فوق كل هذه الكوارث، قررت الحكومة العراقية عام 2015 إلغاء (وزارة البيئة العراقية) ودمجها في (وزارة الصحة)!!

3 ـ تخريب الثروة الآثارية: ليس بالصدفة ابدا، ان أول (انجاز حضاري!) للقوات الامريكية الغازية عام 2003: تدمير المتحف العراقي في بغداد، ثم تحويل (مواقع اور وبابل) الى معسكرات لجيوشهم. إن آثار العراق لا تمتلك فقط قيمة تاريخية ثقافية تراثية، بل تمتلك قيمة بيئية لو أخذنا بنظر الاعتبار أن هنالك أكثر من 30 ألف موقع أثري مكتشف في أنحاء العراق (بالإضافة إلى حوالي 70 ألفاً أخرى ما زالت لم تستثمر)، تمتد على مساحة آلاف الكيلومترات من الأراضي في الأنحاء كافة، بما فيها المناطق الجبلية في شمال الوطن. كل هذه المواقع الأثرية منذ أعوام التسعينات واندلاع الحروب تعرضت إلى التدمير الحربي والتخريب والسرقات المنظمة. ومع الغزو الأمريكي عام 2003 أخذ هذا التخريب بعداً وحشياً ودولياً منظماً ومقصوداً مع تدمير المتحف العراقي وسرقة آثاره.

4 ـ موت ثلثي أشجار النخيل: وهي اكبر ثروة زراعية للعراق، والشجرة المقدسة لدى للعراقيين منذ فجر التاريخ. بسبب حروب صدام ثم الإهمال والجفاف والأمراض تراجع عدد أشجار النخيل في العراق إلى أقل من 9 ملايين شجرة مقارنة بـ 33 مليوناً في الخمسينات. وبالصورة نفسها انخفض عدد المصانع التي تعالج التمر إلى ستة مصانع مقارنة بـ 150 مصنعاً قبل عام 2003، ويجرى حالياً تعبئة التمر العراقي في دولة الإمارات!

ثالثا، تنوع الشعب العراقي، قومياً ودينياً وعقائدياً

منذ نشوء الدولة العراقية وحتى الآن يعاني الشعب العراقي من ثلاثة انقسامات كبرى ظلت دائماً سبباً للتناحر والتدمير الذاتي: القومي (العربي ـ الكردي)، والطائفي (الشيعي ـ السني)، والعقائدي (الديني ـ الحداثي):

1ـ الانقسام القومي: كما بيّنا في الصفحات السابقة عن التنوع القومي في العراق، وخصوصاً الانقسام بين (العرب) الذين يشكّلون حوالي 75% وأكراد أكثر من 15%. لكن هذا الانقسام القومي، بدلاً من أن يكون عامل ثراء ثقافي وتنوع تراثي، فإنه تحول إلى عامل توتر وتشرذم، بسبب إهمال الدولة والنخب لـ (ثقافة الهوية الوطنية الجامعة)، وسيادة الثقافة القومية العنصرية (العروبية والكردوية). منذ تكوين الدولة العراقية قام الأكراد بتمردات مسلحة عديدة كلفت الآلاف من الضحايا، مطالبين بحقوق سياسية

وثقافية تصاعدت إلى درجة المطالبة بالانفصال في السنوات الأخيرة. ويتحمل العرب العراقيون هذا التطرف الكردي بسبب المبالغة بالميول العروبية العنصرية المحتقرة للتنوع القومي العراقي، بالإضافة إلى تناحرهم الطائفي الذي يضعفهم.

وقد لعبت أيضاً الدول المحيطة والعالمية، خصوصاً إيران وإسرائيل والاتحاد السوفيتي (سابقاً) وكذلك المعسكر الغربي أدواراً مختلفة في تأجيج التعصب القومي الكردي وتسليح الميليشيات ودفعها للمغالاة في مطالبها.

من أهم الاتفاقيات التي تم عقدها هي (اتفاقية الحكم الذاتي للأكراد أو بيان 11 آذار 1970)، لكن بضغط إيراني انفسخت الاتفاقية، مما اضطر العراق إلى أن يتنازل عن ضفة (شط العرب) في (اتفاقية الجزائر 1975) كي توقف إيران دعمها للتمرد المسلح. ثم فيما بعد، وبالتنسيق مع أمريكا، نجحت القيادات الكردية في أن تستحوذ بالأموال على قيادات المعارضة العراقية وتكسبها لصالح التحالف مع أمريكا، وصولاً إلى الكوارث المتتالية فيما بعد، مع استمرار الدور الأساسي لهذه القيادات في التدمير الحقود والعنصري للعراق.

هل صحيح إن الاكراد هم القومية الوحيدة المحرومة من الدولة!؟

القوميون الاكراد وأتباعهم من اليساريين يرددون هذه الحجة. لكن أي طالب ابتدائي يعرف جيداً انها غيرة صحيحة. فغالبية شعوب العالم متعددة القوميات، وهذه بعض الامثلة:

ـ ايران: فرس، وترك، وأكراد وبلوش، وعرب/ أفغانستان: بشتون، طاجيك، هزارا، بلوش، تركمان، اوزبك/ فرنسا: بروتون، اوكسيتان، الزاس، كورس/ سويسرا: المان، فرنسيون، ايطاليون/ روسيا: روس، تتر، اوكران/ الصين، هنالك حوالي عشر قوميات، كل منها تزيد على عشرة ملايين. هكذا غالبية دول العالم.

ثم هنالك سؤال مهم يفرض نفسه: الاكراد، ينقسمون الى كم (مجموعة لغوية) مختلفة: سوران، كرمنجية، زازائية، هومرية. أي إن خطر الانفصالات الداخلية وارد جداً، وإن تاريخ الصراع بين (أنصار الطالباني) و(أنصار البرزاني)، ليس ببعيد، ولا زالت النار تحت الرماد. ثم ما العلاقة الجغرافية والمصالحية والثقافية، بين أكراد العراق، وتركيا، وايران، وسوريا؟ أوضح مثال الصراع بين احزاب (أكراد العراق) و(أكراد تركيا). لنا على هذا، مثال الشعوب العربية، فرغم جميع النوايا الصادقة والعواطف الملتهبة التي رافقت تجارب الوحدة، إلاّ انها جميعها فشلت بسبب التمايزات التاريخية والسياسية والمصالحية.

إن بقاء الاكراد ضمن الدولة العراقية وكفاحهم المشروع من أجل حقوقهم ضمن الوطن العراقي، لهو أفضل وأضمن لهم من «شعارات» تجار الحروب وأتباع القوى الاجنبية، الكاذبة والدامية.

2ـ الانقسام الطائفي: نفس الحالة السلبية بالنسبة للتنوع المذهبي (الشيعي ـ السنّي)، فقد تحول إلى عامل انقسام وإضعاف للدولة والمجتمع وسبب للتدخل الخارجي الإيراني خصوصاً. إن المسلمين في العراق الذين يشكّلون أكثر من 90% من السكان منقسمون منذ قرون إلى طائفتين:

ـ الشيعة، بنسبة غالبة حوالي 55% من مجموع السكان، غالبيتهم الكبيرة عرب، ثم أقسام من التركمان والأكراد والشبك وجميع الفيلية.

ـ السنّة، بنسبة قد تزيد على 35% أكثرهم من العرب على المذهب الحنفي وكذلك الشافعي، ومعهم الأكراد الذين غالبيتهم سنّة شافعية (قادرية ونقشبندية) ثم كذلك أقسام من التركمان والشبك.

إن تاريخ العراق المتوتر، وخصوصاً (الصراع الإيراني الشيعي ـ العثماني السني) خلال القرون الأخيرة، أدى إلى عزل الشيعة عن الدولة واحتكار العرب السنّة لها. حيث إن تركيبة المجتمع هذه تتناقض تماماً مع تركيبة الدولة العراقية. فمثلاً، خلال ما يقرب من الأربعين عاماً من الدولة العراقية (1921 ـ 1958) من بين (575) منصباً وزارياً هناك فقط (159) للعرب الشيعة، والباقي للعرب السنّة وأقلية للأكراد والتركمان وغيرهم، ومن بين (58) رئاسة وزراء هناك (5) فقط للشيعة[4].

أما فترة حكم حزب البعث في السبعينات فقد تعمق هذا التمايز: مجلس قيادة الثورة المتكون من (15) عضواً جميعهم من العرب السنّة ومن المناطق الشمالية الغربية، ليس فيهم شيعي أو جنوبي واحد. أما القيادة القطرية لحزب البعث فتتكون من 16 عربياً سنياً، وكردي سني واحد، وعربي مسيحي واحد، وثالث عربي شيعي[5].

ويبدو أن حال الدولة بعد 2003 قد انقلب، فبسبب التوتر الطائفي وتدخل الدول المحيطة أصبح الشيعة والأكراد هم المتحكمين بقيادة الدولة رغم الإشراك الديمقراطي للسنّة وباقي الفئات. لكن المشروع الامريكي والايراني، يصر على استمرار الصراع الطائفي والقومي كي يبقى العراق ضعيفاً خاضعاً.

(4) ـ كتاب العراق: حنا بطاطو ـ الكتاب الأول ـ ص69، ثم ص219.
(5) ـ نفس المصدر ـ الكتاب الثالث ـ ص402، ثم ص394.

توزيع مناصب الوزراء في العهد الملكي (1921 ـ 1958)

السنّة	المجموع الكلي	مناصب الشيعة	النسبة المئوية
1921 ـ 1932 (مرحلة الانتداب)	113	20	17.7
1932 ـ 1936	57	9	15.8
1936 ـ 1941 (مرحلة الانقلابات)	65	18	27.7
1941 ـ 1946 (مرحلة الاحتلال البريطاني الثاني)	89	25	28.1
1947 ـ 1958	251	87	34.7
المجموع	575	159	27.7

لاحظ نسبة تمثيل الشيعة لا تعادل حتى عشر نسبتهم العددية! وفي الفترة الجمهورية والبعثية، قد ساءت الحالة أكثر. (عن كتاب العراق: حنا بطاطو ـ ج1 ـ ص69).

رابعاً، الانقسام الديني ـ الحداثي

سبق وأن وضحنا خطورة هذا الانقسام الذي بدأ منذ نهايات القرن التاسع عشر. حيث انقسم المجتمع العراقي، مثل باقي المجتمعات في العالم النامي والإسلامي والعربي، إلى تيارين متعارضين:

ـ تقليدي ديني يمثل الثقافة الدينية والشعبية الأصلية السائدة منذ قرون طويلة.

ـ حداثي متأثر بالثقافة الأوربية الأجنبية الغازية التي دخلت أولاً عن طريق الاستعمار والجيوش الغازية. ثم استمر عن طريق النخب الحداثية التي أعدَّها وثقفها أولاً المستعمرون.

وقد تمكن التيار الحداثي بشقيه اليساري والليبرالي من فرض سيطرته المطلقة على الدولة والمجتمع والأحزاب والثقافة في العراق حتى سنوات التسعينات. وكان (الحزب الشيوعي العراقي) أكثر الأحزاب تأثيراً في النخب المثقفة وعموم العقل العراقي، منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى نهاية (الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي) أعوام التسعينيات. وكان هذا الحزب متطرفاً في تقديسه للحداثة الأوربية

(باسم الشيوعية) واحتقاره العقائدي والثقافي المعلن لكل ما هو تاريخ وتراث ودين. وقد شاركته في هذا التدمير المنظم للهوية العراقية باقي (الأحزاب الحداثية: القومية والليبرالية) بدرجات مختلفة. وبلغ هَوَسَهُم التحديثي وانقطاعهم عن الواقع الوطني، أنهم باسم التحديث والتقدم والثورة والتحرر، خاضوا ضد بعضهم البعض أشرس الصراعات والانقلابات والديكتاتوريات والحروب الداخلية والخارجية، وتآمروا لصالح مختلف الدول الاقليمية والعالمية، مثل ايران وتركيا ومصر وليبيا، كذلك بريطانيا وامريكا وروسيا.

في نهاية السبعينات وبعد أن تَعَبَ هذا التيار الحداثي وَتَعَبَ الناس من مشاريعه الفاشلة، مع ظهور علامات الضعف على المعسكر الشيوعي العالمي، وفشل الأحزاب القومية والناصرية، بدأ التيار (المحافظ الديني) يبرز وينشط ويستعيد عافيته، ليس في العراق فحسب بل في عموم العالمين العربي والإسلامي. وقد نشط التيار الإسلامي في العالم من خلال (كفاح مجاهدي أفغانستان: 1978) ضد الاحتلال الروسي، وبروز (منظمة القاعدة: أسامة بن لادن 1988) بدعم رسمي من (المخابرات المركزية الأمريكية). ثم بدء الثورة الإيرانية عام 1977 وتأسيس الجمهورية الإسلامية عام 1979. كل هذا أضعف (التيار الحداثي اليساري والقومي) ليحل محله (التيار الديني) بمختلف تنوعاته المذهبية. بدأت الحركات الإسلامية الشيعية العراقية تكافح ضد السلطة البعثية الطائفية، بدعم (إيراني ـ سوري) رسمي. وبلغ نفوذ الإسلاميين ذروته بالسيطرة على الدولة والمجتمع بعد عام 2003، بالتعاون مع المحتل الأمريكي، وإيران.

* * *

إحياء الهوية الوطنية الجامعة

ما يثير الدهشة، أنه رغم هذه الانقسامات: (القومية، الطائفية، الحداثية) وهذه الكوارث المتلاحقة، إلاّ أن جميع الاحزاب الماركسية والقومية والدينية، متمسكة بعقائدها التقسيمية: القومية ـ الطائفية ـ التغريبية، وكلها مهما اختلفت فإنها تتفق على:

ـ تجاهل الهوية الوطنية العراقية، بل التثقيف برفض الحدود الحالية (التي يعتبرونها مصطنعة!)، وكل منهم يدعو الى إقامة إمبراطورية كبرى: (إسلامية: شيعية وسنية) و (قومية: عروبية وكردوية) و (حداثية: شيوعية وليبرالية)، أشبه بالديك الذي يشمخ فوق المزبلة صارخاً بالفحولة!

لكن كوارث الأجيال الأخيرة، بدأت بصورة بطيئة، تخلق ميلاً شعبياً ونخبوياً عاماً لدى جميع الطوائف والقوميات العراقية، يدعو إلى (الهوية الوطنية الجامعة)، وأن (المشاريع الخارجية المحتقرة للوحدة الوطنية) لم تجلب للعراقيين سوى التشرذم والخراب، وأن العراقيين بمختلف مكوناتهم القومية والدينية والطائفية يشكلون (أمة عراقية) هي أشبه بـ (البحيرة الكبرى التي تصب فيها أنهار وسواقي الفئات العراقية المختلفة)[6].

(6) ـ إن الأسس الفكرية والتحليلية لـ (ثقافة الهوية الوطنية العراقية) بدأت مع كتابنا (الذات الجريحة) الصادر عام 1997، وبعدة طبعات مستمرة، ثم مع مجلتنا (ميزوبوتاميا: بلاد النهرين) الصادرة في بغداد (2004 ـ 2014)، وباقي كتبنا وكتاباتنا عن الهوية.

أي القول بأنه من حق الكردي والتركماني والسرياني والشبكي واليزيدي والصابئي والأرمني، بالإضافة إلى الشيعي والسني، أن يعتز كل منهم بهويته القومية والدينية وخصوصيته المحلية، ولكن بنفس الوقت جميعهم يعتزون ويشعرون بالانتماء لهوية أكبر هي (الهوية العراقية المشتركة) التي تجمعهم وتحل الخلافات بينهم.

مرض التبعية للخارج: مشكلة النخب العراقية الاولى والكبرى في العصر الحديث!

في الحقيقة إن الشعب العراقي، مثل غالبية شعوب العالم، استقبل الكثير من الجماعات التي أتته بمختلف الطرق، هجرة وغزو وأسرى وعبيد وجوار.. الخ.. ولكن مشكلة الشعب العراقي، بسبب ضعف حدوده الجغرافية وإحاطته بدول قوية خصوصاً تركيا وايران، أدى بتنوعاته القومية والطائفية والحزبية، أن تكون أدوات بيد الجيران والقوى العالمية. مثلاً، لولا تدخلات ايران، لكانت مشكلة الشيعة في العراق قد انتهت أو خفّت الى حد كبير. كذلك مشكلة الأكراد، التي لا زالت تستخدمها عشرات الدول. بل إن الهوس (العروبي الوحدوي) لدى (السنّة) هو في الحقيقة وسيلة للاحتماء من الخطر الايراني الشيعي.

أما الاحزاب الحداثية العراقية، فهي جميعها مرتبطة بدولة ما: الشيوعيون قدَّسوا روسيا، والصين، بل حتى البانيا وجزيرة كوبا! البعثيون، بقوا يحكمون العراق اكثر من أربعين عاماً وهم يقدِّسون أفكاراً ساذجة لمثقف ابتدائي اسمه (ميشيل عفلق) لمجرد أنه غير عراقي: (سوري مسيحي)!؟ بل إن الاحزاب العروبية والماركسية لم تترك جهة عربية لم تشتغل لها: سوريا فلسطين ليبيا مصر، حتى الكويت تمول أحزاباً في العراق! وبعد عام 2003 اختلط الحابل بالنابل، فأصبح الجميع يشتغل للجميع، فترى الحزب الواحد مهما كان دينياً أو يسارياً، وحتى قبل اعلان تأسيسه، يتعاقد مسبقاً مع عدة سفارات عربية وأجنبية!

إذن من اولى وأخطر القوانين والاعراف والاخلاق التي يجب أن تصدر وتشيع:

تحريم وتجريم أي جهة مهما كانت، من التعامل واستلام دعم من أي جهة خارجية، دون علم وموافقة الدولة.

إن (الهوية الوطنية) لا يمكن خلقها فقط بشعارات وقوانين، بل عبر مجموعة من الخطوات الثقافية والسياسية والدينية والقومية تشارك فيها جميع نخب الوطن، وأهم هذه الخطوات:

1 ـ نشر ثقافة الهوية والوحدة الوطنية: أن تتبنى جميع النخب والأحزاب موقفاً سياسياً وثقافياً ودينياً يعتبر الوحدة الوطنية والهوية المشتركة بين العراقيين أمراً مبدئياً ومدخلاً لجميع النشاطات والبرامج والشعارات. والاتفاق على مادة دراسية رسمية وإجبارية لكل المراحل الدراسية والجامعية اسمها (مادة الهوية الوطنية العراقية) تشرح الروابط التاريخية والإنسانية والثقافية والروحية بين العراقيين. كذلك تشجيع

تشكيل مؤسسات وجمعيات ثقافية ودينية للحوار والتقارب بين مختلف مكونات الأمة العراقية، الدينية، المذهبية، القومية.

2 ـ إعادة كتابة التاريخ الوطني: بما فيه تاريخ القوميات والطوائف والأديان والمناطق، بصورة تركز على الجوانب الوطنية الأخوية المشتركة، (إن كتابنا هذا بادرة أولى وتأسيسية لهذا الهدف).

3 ـ تشييد (عاصمة إدارية جديدة): مع الإبقاء على (بغداد) عاصمة سكانية وثقافية. مثلما هو الحال في الكثير من البلدان: تركيا والمغرب وهولندا وأمريكا، وغيرها، وتكون هذه العاصمة الجديدة رمزاً للعودة للهوية العراقية الأصيلة الجامعة، وتحمل اسم (بابل الجديدة ـ **New Babylon**)، ويتم الاتفاق الوطني على موقعها التوسطي.

4 ـ الاحتفال بمناسبات وطنية دينية وتاريخية مشتركة: منها مثلاً:

ـ مناسبة تأسيس أول دولة عراقية موحدة في التاريخ (دولة سرجون الأكدي ـ حوالي 2250 ق.م).

كذلك العمل على الاتفاق على أيام مشتركة للاحتفال بالمناسبات الدينية الإسلامية المشتركة مثل عيدي الفطر والأضحى والمولد النبوي ومولد الإمام علي.

ـ ذكرى اختيار (العراق: الكوفة) عاصمة الخلافة في عام 36 هـ، من قبل الخليفة (علي بن ابي طالب)، باعتباره أول خطوة لإحياء الدولة العراقية، بعد غياب دام أكثر من ألف عام حيث انتهت (بابل) في 539 ق.م

ـ ذكرى تأسيس بغداد في (762 م)، كتاريخ عودة العراق الى لعب دوره الحضاري السابق.

ـ ذكرى تأسيس أول دولة عراقية حديثة في 23 آب 1921، واختيار فيصل ملكاً على العراق.

ـ الاحتفال بـ (يوم الربيع العراقي) في 21 آذار، وهو يوم احتفل به العراقيون طيلة مراحل تاريخهم وإن كان بأسماء مختلفة: في بابل وآشور باسم (هيجتو ـ الحجة)، ولدى العباسيين ثم العثمانيين ثم الأكراد باسم (نيروز)، ولدى عرب العراق باسم

(دورة السنة). بالإضافة إلى احتفال جميع الفئات الدينية العراقية بيوم حلول الربيع، وإن كان بأسماء مختلفة وتواريخ قريبة جداً.

إضافة اسم (بلاد النهرين: ميزوبوتاميا: Mesopotamia) إلى تسمية (العراق)

لنا في هذا نماذج الكثير من بلدان العالم التي تحمل اسمين، منها (مصر) وهذه تسميتها العربية، و(Egypte) وهي تسميتها العالمية والتاريخية. كذلك (المغرب) بالعربي، و(Marocco) عالمياً. فإن مشكلة العراق أنه يعاني عالمياً من التجاهل في أصوله التاريخية الحضارية. فالعالم يعرف (سومر) و(بابل) و(آشور) و(كلكامش) و(نبوخذ نصر) و(سميراميس).. إلخ، أنها من بلاد (ميزوبوتاميا ـ Mesoptamia)، ولا يعرفون أنها نفسها (العراق). لهذا يصبح من الضروري أن يبقى (العراق) الاسم الرسمي المستخدم في اللغة العربية، مع إضافة بصورة ثانوية (بلاد النهرين) في المطبوعات الإعلامية والسياحية والمدرسية. أما على صعيد بلدان العالم (غير العربي)، فيتم إلغاء التسمية الشائعة حالياً (IRAQ)، وتحل محلها التسمية التاريخية المعروفة (MESOPOTAMIA) ويتم التعامل مع هذا الاسم من قبل السفارات في الخارج وفي جميع المطبوعات الرسمية غير العربية، ويمكن الاستفادة كثيراً من التجربة المصرية في هذا المجال.

5 ـ خلق تيار وسطي بين (مغالاة الدين) و(تطرف الحداثة): من أجل تخفيف حدة المواجهة بين الطرفين الحداثي والديني. فمن المعلوم إنسانياً وتاريخياً أنَّ هذا الانقسام بين (المحافظين) و(المجددين) هو أمر طبيعي في كل تاريخ البشرية، وحتى في داخل العائلة الواحدة. لكنه في المجتمعات المتوترة التي في طور الانتقال والتغيير يكون هذان التياران متطرفين متصارعين لا وسط ولا وسيط بينهما. أما في المجتمعات التي تمكنت من تجاوز المتغيرات الحادة وبلغت بعض الاستقرار والنضوج، فيكون هذان التياران هادئين ومتحاورين؛ لأن هنالك تياراً ثالثاً وسطياً يشكّل جسراً ووسيطاً بين الاثنين. فمثلاً في مجتمعات (الحضارة العربية الإسلامية) شاعت التيارات الثلاثة التالية[7]:

ـ تيار أهل العقل (البرهان والفلسفة) أمثال الفلاسفة والمعتزلة وإخوان الصفا.

(7) ـ من أشهر الكتب المعاصرة التي تناولت هذه الإشكالية، كتاب المفكر المغربي:
ـ نقد العقل العربي: محمد عابد الجابري.
وتحدث عن تيارات: البيان والبرهان والعرفان.
ثم كان رد المفكر السوري (جورج طرابيشي) على (الجابري) بعدة كتب تحليلية مهمة جداً، تحت عنوان:
ـ نقد العقل العربي: جورج طرابيشي.

ـ تيار أهل النقل (الأصولي السلفي): أهل الحديث والحنبلية وغيرهم.

ـ التيار الوسطي المنفتح على الاثنين: أهل (العرفان) والمتصوفة والأشعرية وغيرهم[8].

لهذا فإننا في المجتمع العراقي كما في باقي المجتمعات العربية والإسلامية، بحاجة إلى تيار وسطي: من ناحية يحترم الإيمان الديني والروحي والتراث الشعبي والوطني، ومن ناحية أخرى ينفتح على الحداثة الغربية بدون تقليد أعمى وتقديس لكل ما هو غربي حداثي.

6ـ نظام اللامركزية للمحافظات: إن الفيدرالية الحالية المعمول بها في العراق خطيرة؛ لأنها فيدرالية قائمة على أساس (التقسيم القومي: إقليم عربي وإقليم كردي)، وتفتح الباب أيضاً (للتقسيم الطائفي: إقليم شيعي وإقليم سني)، بل ربما أيضاً أقاليم تركمانية وسريانية ويزيدية، وغيرها.

لدينا نماذج بديلة إيجابية كثيرة، مثل (ألمانيا وسويسرا وأمريكا)؛ لأن فيدراليتها قائمة على أساس جغرافي إداري: (محافظات، مقاطعات، ولايات) وليس على أساس التقسيم القومي والديني. إن (لا مركزية المحافظات) تعني عموماً:

ـ إعطاء حرية أكثر للمحافظات بأن تخطط لسياستها المحلية الخاصة بها. مع الإبقاء على مركزية الجيش والأمن والخارجية، وأمور أخرى أساسية خاضعة للعاصمة.

ـ يتم اختيار قيادات الدولة والبرلمان على أساس الانتماء إلى المحافظات وليس على أساس الانتماءات القومية والطائفية.

ـ يكون تشكيل الأحزاب على أساس وطني شمولي بقيادات تمثل جميع محافظات

(8) ـ التيار الوسطي، نلاحظه أيضاً في المجتمعات الغربية الحالية، بين (التيار المادي العلمي) و(التيار الديني المسيحي)، فإنه يتمثل في معتقدات متفتحة وعامة مثل (الربوية: Deism) و(اللادرية: Agnosticism) و(الروحانية: Spiritualitatem)..
أما بالنسبة للإسلام: فلنا مثال معاصر، هو المفكر المصري (محمد عمارة)، الذي ينتمي للمدرسة الوسطية ويدعو إليها، ويسميها (الوسطية الجامعة) التي تجمع بين عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة فتكوّن موقفاً جديداً مغايراً للقطبين المختلفين. وإن الفقه الإسلامي وتطبيقاته فقه وسطي يجمع بين الشرعية الثابتة والواقع المتغير أو يجمع بين فقه الأحكام وبين فقه الواقع، ومن هنا فإن الله جعل وسطيتنا اختيارا إلهيًّا: ﴿جعلناكم أمة وسطاً﴾ سورة البقرة آية 143.

الوطن، ويشيع رفض أخلاقي وقانوني للأحزاب القائمة على (جزء من الأمة)، مثل الطائفة والقومية وغيرها..

مثلاً، من المحتمل أن يمثل محافظة نينوى أشخاص بينهم وزير مسيحي ونائب شبكي، يحوزون على ثقة أهل المحافظة. نفس الحال ربما يمثل محافظة البصرة أشخاص بعضهم سني ومسيحي وصابئي... وهكذا. أي أن يعامل المسؤول على أساس انتمائه إلى المحافظة الفلانية وليس على أساس انتمائه للطائفة والقومية والدين الفلاني.

كركوك قلب العراق

قلعة كركوك التي شيدها الملك الاشوري (آشور نصر بعل) في القرن التاسع ق.م للحماية من غزوات بدو الجبال

إن (لا مركزية المحافظات) يمكن أن تكون أيضاً حلاً لمشكلة (كركوك) الغنية بالنفط والتي تطالب بها الأحزاب العنصرية الكردية؛ لأنها ستشكل لهم منقذاً اقتصادياً لمشروعهم الانفصالي. علماً بأن هذه المحافظة مقطونة بالتساوي تقريباً بين العرب والأكراد والتركمان، بل تعتبر تاريخياً مدينة تركمانية من حيث تاريخها المحلي في القرون الأخيرة، وإن التركمانية هي اللغة المستعملة بين مختلف القوميات في مدينة كركوك.

بل إن الوجود الكردي فيها يعود بغالبيته إلى أعوام الثلاثينات من القرن العشرين بعد استثمار نفط كركوك وهجرة العمال الأكراد إليها. والحل الوطني المعقول الذي يطالب به الفرقاء: أن تتمتع كركوك بنوع من الإدارة الذاتية مع الإبقاء على الارتباط الأساسي بالمركز في بغداد. وإن (حقوق الاكراد) لا تحتاج الى مشاريع أقاليم وانفصال، بل بإقرار وحدة الشعب العراقي، وحق جميع أطيافه بالتعبير عن خصوصياتها الثقافية والدينية، وحقها الكامل بالمشاركة في جميع أجهزة الدولة.

7ـ التأكيد على دور العراق الأساسي في الشرق الأوسط، والاستعانة بالجناح العربي: كما وضَّحنا طيلة الكتاب إن موقع العراق في وسط بلدان الشرق الأوسط، وإنه بلد خصيب وسهلي ومفتوح، قد جعله طيلة التاريخ محطة التقاء وبناء وصراع لشعوب المنطقة، وساحة للصراع طيلة التاريخ، بين دول الجارين المتنافسين: (الهضبة الإيرانية والهضبة الأناضولية). ثم أضيف إليها في العصر الحديث، دولة أخطر وأشرس هي (إسرائيل) الملزمة غربياً وأمريكياً بإضعاف وتدمير بلدان المنطقة ومنعها الأبدي من النهوض.

صحيح إن هذا الموقع الوسطي للعراق، كان من ناحية إيجابياً لأنه خلق هذا التنوع والثراء القومي والديني والمذهبي والثقافي لدى العراقيين، وكان سبب نبوغهم وإبداعهم الدائم، ولكنه أيضاً كان عاملاً سلبياً وسبباً للتوترات والغزو الدائم وتحول العراق إلى ساحة للتآمر والصراع بين الدول المحيطة. وما يزيد من حدة المشكلة أن جميع فئات الشعب العراقي مرتبطة كل منها بصور مختلفة بإحدى الدول المحيطة، إما قومياً أو دينياً ـ طائفياً، وكثيراً ما استخدمت الدول المحيطة علاقتها ونفوذها لدى هذه الفئات العراقية من أجل تغذية المنافسة والصراع بين العراقيين، ومع الدول المحيطة.

لهذا يتوجب على النخب العراقية أن تعترف وتنسق بين هذين الجانبين للعراق:

ـ نعم إن العراق (عربي)، ليس بالمعنى القومي العرقي، بل بمعنى الانتماء (الجغرافي ـ التاريخي ـ الثقافي) إلى (العالم العربي)، وإن له امتداداً طبيعياً وقومياً ومصلحياً مع السعودية وبلدان الخليج جنوباً، وبلدان الشام ومصر غرباً. وإن التعاون مع الجوار العربي، لا يكون بدوافع (قومية عروبية) بل بدوافع استراتيجية مصلحية، لحماية العراق من جبروت الجيران الخطيرين الطامعين: (إيران وتركيا وإسرائيل). وبنفس الوقت، يكون العراق سنداً لهذه الدولة العربية المجاورة من تهديدات تلك الدول الخطرة.

تحويل جامعة الدول العربية الى منظمة اقتصادية وثقافية، وإلغاء دورها السياسي!

إن تجارب التاريخ الحديث أثبتت خطأ (المشاريع السياسية والوحدوية) العربية. لهذا يتوجب تركيز الجهود على الجوانب (الاقتصادية والثقافية). وهذا يقتضي قبل كل شيء التغيير الجذري في (جامعة الدول العربية). لنا أفضل مثال تجربة (الاتحاد الاوربي) الذي بدأ كمنظمة اقتصادية تجارية كمركية[9].

ـ نعم إن العراق (شرق أوسطي) بمعنى أنه ينتمي واقعياً وجغرافياً وتاريخياً وسياسياً إلى محيطه (الشرق أوسطي)، ومن المستحيل تغيير حدوده، ومحتّم عليه أن يتعامل مع هذا الواقع بصورة عملية وعقلانية. صحيح أنه مضطر الى الحذر الحذر من هذه الدول الشرهة المجاورة، إلاّ أنه يتوجب عليه أيضاً أن يقيم علاقات إيجابية معها[10].

(الاعتراف والتصالح مع إسرائيل) مشكلة عراقية مصطنعة!

فغالبية الدول العربية الجارة لاسرائيل والمعنية مباشرة اعترفت وأقامت علاقة. حتى سوريا تعلن بصراحة أنها مع الصلح بشرط عودة الجولان المحتل. تركيا (الاخوان المسلمين) تقيم علاقات رسمية وحميمة. ثم إن الصلح مع اسرائيل لا يعني أبداً التنازل عن حقوق الشعب الفلسطيني: إما بـ (الدولة المستقلة) أو (دولة واحدة مشتركة للشعبين الفلسطيني واليهودي) على طريقة جنوب افريقيا[11].

ليس هنالك أي خيار مستقبلي أمام العراق غير أن تكافح نخبه وأحزابه سياسياً وثقافياً، وبالتنسيق مع نخب شعوب الشرق الأوسط، لخلق (تيار ثقافي ـ سياسي شرق أوسطي) شبيه بالتيار الأوربي الذي دفع نحو (الوحدة الأوربية). تيار يدعو إلى التقارب والتعاون والانفتاح السياسي والثقافي بين دول وشعوب الشرق الأوسط،

(9) ـ بدأ الاتحاد الاوربي في عام 1951 باسم (الجماعة الأوروبية للفحم والصلب) الذي ضم ألمانيا (الغربية)، فرنسا، إيطاليا ودول بينيلوكس (benelux) (بلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ). أول وحدة جمركية عرفت بالأصل باسم المؤسسة الاقتصادية الأوروبية (European Economic Community)، وتسمى في المملكة المتحدة بشكل غير رسمي بـ «السوق المشتركة»، تأسست في اتفاقية روما للعام 1957 وطبقت في 1 يناير كانون الثاني 1958. هذا التغيير اللاحق للمؤسسة الأوروبية يشكل العماد الأول للاتحاد الأوروبي. تطور الاتحاد الأوروبي من جسم تبادل تجاري إلى شراكة اقتصادية وسياسية.

(10) ـ حول التفاهم مع الدول المحيطة والخطرة تاريخياً على العراق، لدينا مثال: (مشروع الاتحاد الأوربي)، الذي قام في الأساس بمبادرة مشتركة من قبل أشد الدول عداء وحروباً بينها: فرنسا وألمانيا؛ لأنها أدركت بأن التقارب والتحالف أفضل طريقة لحل المشاكل وتخفيف التوترات وتجنب الحروب.

(11)ـ نحن مع الكثيرين من الفلسطينيين وخصوصاً اليساريين الذين يقولون باستحالة اقامة دولة فلسطينية مستقلة بسبب الموانع الجغرافية والاقتصادية والسكانية (المستوطنات اليهودية). لهذا فهم يرفعون شعار: (دولة واحدة لشعبين) والذي أشد ما تخشاه اسرائيل لأنها تصر على الابقاء على طابعها القومي العنصري.

وأن تكون (بغداد) مثل (بروكسل في أوربا)، عاصمة (شرق أوسط) مستقر ومسالم ومتضامن بل حتى موحد مثل أوربا! نعم إن استقرار العراق لا يتحقق إلاّ باستقرار الشرق الأوسط.

8 ـ تحريم وتجريم العنصرية، قانونياً وثقافياً وسلوكياً: كما هو حال غالبية دولة العالم: [12] مفهوم العنصرية: أن تحكم بالسلبية وتثقف بالكره ضد جميع الاشخاص الذين ينتمون لجماعة تاريخية طبيعية: بلد أو قومية أو دين أو طائفة أو طبقة. من المقبول ممارسة النقد والادانة ضد (جهة وفكرة سياسية، تنظيم أو دولة وعقيدة، وزعمائها)، مثلاً، ضد: امريكا، الرأسمالية، العروبة، الكردوية، اليهودية، المسيحية، ايران، الاسلام، أو التشيع، أو التسنن. ولكن أنت عنصري وتستحق العقاب القانوني، لو أعلنت وثقّفت بالعداء ضد أبناء هذه الجماعات، نافياً عنهم إنسانيتهم وتمايزهم الشخصي: الامريكيين، الرأسماليين، العرب، الاكراد، اليهود، المسلمين، المسيحيين، الايرانيين، الشيعة، السنّة. فمثلاً، نعم للعداء لدولة ايران وقادتها، وليس لشعوبها. نعم للعداء لدولة اسرائيل والصهيونية، وليس لليهود في أي مكان.

إن أخطر أنواع العنصرية، وأكثرها شيوعاً بين أمم العرب، هي: (العنصرية الذاتية) أي: احتقار الشعب لنفسه، وتقديس الشعوب القوية! أوضح مثال: قبل تحرر الافارقة من الاستعمار، كان الكثير منهم يعتقدون أنهم كي يكونوا بشراً يستحقون الحرية، عليهم أن يتحولوا الى بيض البشرة مثل أسيادهم الاوربيين! هكذا، أن تحتقر نفسك وميراثك وثقافتك وبلادك وحتى شكلك، تقديساً للشعوب المهيمنة.

منذ سنوات هنالك أطراف دولية تموّل وتدعم الجهات التي تقوم بهذه الحملات العنصرية الحقودة: (عنصريون أكراد وبربر وحداثيون، بالاضافة الى شيوخ السلفية والمتعصبين الشيعة)، ضد العراقيين والعرب والمسلمين. وهي تقوم بخلط متعمد، بين (العرب والمسلمين) مع (داعش والسلفية وقاطعي الرؤوس). مجرد حديثك

(12) ـ هنالك العديد من القوانين في العالم بشأن العنصرية، منها:
ـ إعلان بشأن العنصر والتحيز العنصري/ أقرته منظمة الأمم المتحدة للتربية في 1978
كذلك تعتبر (تونس) أول دولة عربية تصدر قانوناً ضد العنصرية:
ـ قانون أساسي عدد 50 لسنة 2018 مؤرخ في 23 أكتوبر 2018 يتعلق بالقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري.
وهنالك أيضاً بوادر لسن قوانين بهذا الشأن في السعودية والسودان ودول عربية اخرى.

عن (الحضارة العربية الاسلامية) و (تراث العراق العباسي)، يتم اتهامك بالدفاع عن الظلامية والتعصب والبدو الغزاة؟!

إن هذه القوى الدولية بدعمها للجهات العنصرية، تحضّر لحروب داخلية جديدة في مجتمعاتنا. إن جميع الحروب الداخلية والخارجية، يسبقها ويرافقها التثقيف العنصري وشحن الاحقاد. ولن يتحقق السلام في شعب العراق وشعوب المنطقة، مادامت الثقافة العنصرية شائعة ومتداولة من قبل الاعلام والمثقفين والنخب الحزبية والدينية. وهذه لن تتم مواجهتها الا بالثقافة الوطنية الانسانية واصدار القوانين المكافحة للعنصرية.

نصب: إنقاذ العراق، للفنان محمد غني حكمت